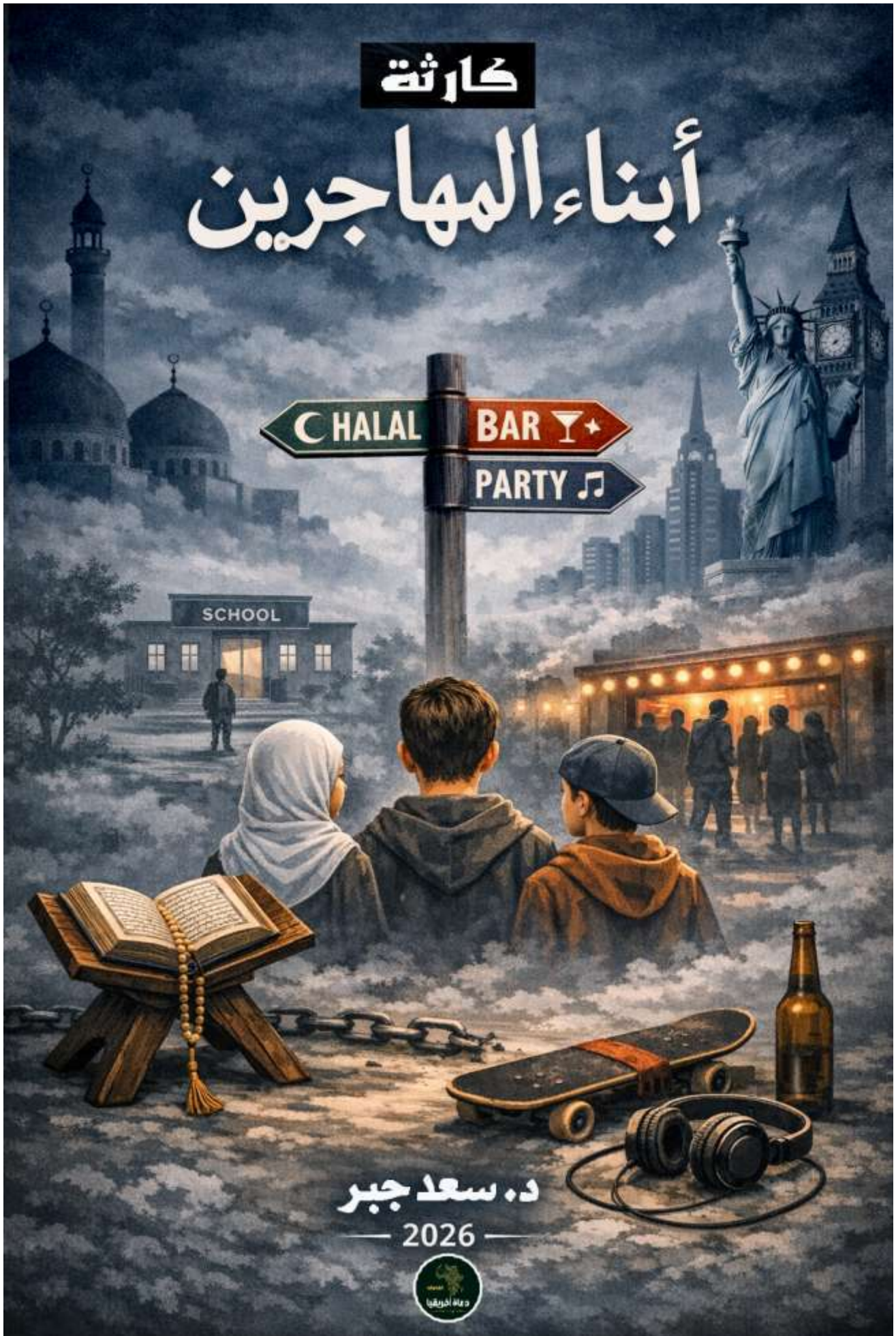


كارثة

أبناء المهاجرين



د. سعد جبر

— 2026 —



كارثة

أبناء المهاجرين

وما أدراك ما أبناء المهاجرين

الإهداء

إلى سيدنا الشيخ أبو معاذ

الدكتور فيصل بن علي البعداني - حفظه الله -

وكل أصدقائه وتلاميذه ومحبيه ومشايخنا في مجموعة

دعاة أفريقيا - وفقهم الله تعالى

المؤلف

الجزائر في: 26-4-26



المقدمة

قرأت لشيخ أبي معاذ الدكتور فيصل بن علي البعداني - حفظه الله - قرأت له خاطرة قصيرة معبرة فلفتت انتباهي لكثرة لا يكتب عنها إلا القليل فإليكم الخاطرة ثم تعالوا لنبحر في هذا المضمرة العجيب لنرى كوارث ومشاكل وبعض حلول أحوال أبناء المهاجرين **وما أدراك ما أبناء المهاجرين:**

" قال: احمد الله! قلتُ لصديقي المسافر إلى أمريكا الجنوبية: أوصني. فقال: احمد الله كثيرًا، ثم احمد الله كثيرًا، على النعمة التي أنت فيها. ثم سكت قليلًا، وقال: المرء في بلاد المسلمين - مهما ضاق عليه العيش، أو اشتدّت عليه الظروف، أو وجد من الغلاء والتضييق - لا يزال محاطًا بما يذكره بالله؛ فهو يسمع الأذان، ويرى المساجد، ويجد أثر الإسلام في وجوه الناس، ويسمع من يوقظه بكلمة عابرة: يا أخي صلّ على النبي، ويرى الحجاب والحياء، ويقابل من يذكره بالآخرة، ولو من غير قصد. ثم قال: أما هناك، فقد يجد المرء مألًا، وسعةً، وربما نوعًا من الحرية، وقد يقلّ ما يراه من بعض صور التمييز، ولكنه يفقد المعين على الثبات. فمظاهر الدين الحق نادرة، والمعين على الطاعة بعيد أو مفقود، والبيئة العامة لا تعين على الطاعة، بل تُترك لنفسك، وكثيرًا ما تدفعك إلى غير الخير. ثم قال: وأخطر ما هناك اعتياد المعصية، وإن كبرت؛ ففي البداية ينكرها القلب، ثم مع مرور الزمن وكثرة المعاشية يخف إنكاره لها، حتى تهون عليه ويعتادها، إن لم يقع فيها من حيث لم يكن يظن. فالبيئة هناك تسحب من الإنسان أسباب الثبات خطوةً خطوة؛ فكم من مستقيمٍ تغير، وكم من ذاكِرٍ غفل، وكم من مطيعٍ تهاون أو فتر، وكم من بيوتٍ تفككت، لغياب من يعلم أولادها ويرشدهم، في مجتمعٍ يخيم عليه الجهل والضياع. ثم نظر إليّ وقال: أنتم هنا - مع ما في بلداننا الإسلامية من تقصيرٍ وغفلة - تعيشون في نعمٍ عظيمة؛ فأبواب الطاعة فيها مشرعة، والمعصية فيها مستقبحة، والتذكير فيها حاضر، وسبل التعلم متوفرة. لكنكم ألفتُم هذه النعم، حتى صارت في أعينكم أمرًا عاديًا. ثم قال كلمته التي بقيت عالقة في ذهني: ألا إن أخطر ما في النعمة أنك تغرق فيها حتى إنك لا تراها. فهل يا ترى نحمد الله حقًا؟ وهل يا ترى نعي ما نحن فيه؟ وهل نحفظه قبل أن نُبتلى بفقده؟ والله الهادي. أ. ه. كلام الشيخ أبو معاذ .

إلى أمريكا اللاتينية ..

حين قال كلمته الأخيرة التي بقيت عالقة في ذهني ، والتي صارت نواة هذا الكتاب:

"ألا إن أخطر ما في النعمة أنك تغرق فيها حتى إنك لا تراها".

وهنا انتهت وصيته، ولم يزد على أن قال: "والله الهادي."

صدمة..

لم أستوعب مغزى كلامه كاملاً وأنا أقرأه لأول مرة فأعدت القراءة مع ما في أسلوبه السهل الجميل العلمي الرقراق من شد وجذب وعمق يقتضي الفهم والتركيز لكني أعدت لا لأفهم بل لأستوعب أكثر، تخيلت نفسي مهاجراً أقرأ كلام الشيخ وأردد مع نفسي، ما الذي جعلني أهاجر؟ ما الفائدة الكبرى لهذه الهجرة؟ وما كانت نيتي؟ يوماً ما كنت في بلدي، أسمع الأذان خمس مرات يومياً، وأنام ويوقظني صوت المؤذن، وأمشي في الأسواق فأرى نساء محجبات ورجالاً لا يعرفون كلمة الخمر، وأحضر دروس العلم في المسجد القريب. كل هذا كان موجوداً، لكنه كان - بصراحة - مملاً! مكرراً! عادياً! بالنسبة لمن يفكر ليل نهار في الهجرة حتى لو بدون سبب ثم قلت بل قال المهاجر

" أحياناً كنت أتذمر. كنت أقول: كم من الفوضى في المساجد! كم من تداخل الخطباء! كم من ضيق في الطرقات بسبب صلاة الجمعة! كم من عيب أن لا تستطيع شراء قهوتك في نهار رمضان دون أن ينظر إليك الناس!

أي غياب هذا؟ أي جحود؟ أنا غارق في نعمة لا يشعر بها إلا من فقدتها. وهذا بالضبط ما اكتشفته لاحقاً حين سافرت بنفسي إلى إحدى الدول الأوروبية لظروف عمل. هناك، في تلك الشقة الباردة البعيدة، شعرت بالفراغ السماوي. لا أذان، لا مسجد قريب، لا أحد يوقظك لصلاة الفجر، ولا حتى من يقول لك: "بارك الله فيك" إذا صليت في مكان عام. البيئة محايدة في أحسن الأحوال، بل معادية أحياناً. ومع الوقت، شعرت بأمر خطير: بدأت الذنوب الصغيرة التي كنت أراها كبيرة تصبح مقبولة، ثم عادية، ثم مبررة.

تذكرت حينها قصة المسافر إلى أمريكا الجنوبية، والذي أورد الشيخ طرفاً منها وتذكرت كلمته: "يرتدع في البداية، ثم يخف إنكاره، ثم يعتاد، ثم يقع". فقلت: هذا أنا. وهؤلاء كثير غيري. وهذه القضية - قضية "المعين على الثبات" و"الألفة القاتلة" و"اعتیاد المعصية في البيئات الخالية من التذكير" - لم تُطرح كما ينبغي في الكتب المعاصرة.

من هنا ومن بين الحوارات الداخلية مع نفسي ومع المهاجر المتخيل ولدت فكرة هذا الكتاب.

والسؤال الآن : لماذا لا نشعر بالنعمة حتى نفقدها؟

سؤال مركزي يطرحه هذا الكتاب بالحاح: لماذا يعيش إنسان في محيط يذكره بالله في كل لحظة، ثم لا يشعر بذلك إلا حين يفقده؟

هذه الظاهرة ليست جديدة؛ فالقرآن الكريم حكى عن أقوام غرقوا في النعم فأنكروها أو لم يعرفوا قدرها. قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: 7]. ف"كفر النعمة" لا يعني فقط جحدها باللسان، بل أعمق من ذلك: هو الألفة التي تجعل النعمة كأنها عديمة القيمة.

وفي الحديث الصحيح، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافاً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" (رواه الترمذي برقم 2346، وحسنه الألباني). لكن كم منا يشعر بالأمن في سربه (وطنه وبيئته) كنعمة عظمى؟

إشكالية هذا الكتاب تنبع من ثلاثة أسئلة عملية:

1. ما هو "المعين على الثبات" الذي توفره البيئة الإسلامية – ولو كانت مقصرة – مقارنة بالبيئات الأخرى؟ .

2. كيف تسحب البيئة الجديدة من المسلم أسباب ثباته خطوة بخطوة، عبر آلية "اعتیاد المعصية"؟

3. كيف نستشعر النعم الموجودة قبل أن نبتلى بفقدانها، وكيف نستعد للسفر أو الهجرة أو حتى الغربة المعنوية داخل بلادنا؟

سوف أجتهد – إن شاء الله تعالى – في حل هذه الإشكاليات الثلاث مدعماً الحلول بقصص ومواقف محاوراً توثيق ذلك قدر المستطاع، والله المستعان.

هل الآن وقت هذا الكتاب؟

في زمن تدفق الناس فيه للاغتراب – هجرة، لجوء، دراسة، عمل، سياحة طويلة – وفي زمن كثرت فيه قصص "المتغيرين" و"المتدحرجين" و"البيوت المتهدمة" في بلاد غير المسلمين، لا نجد كتاباً عربياً واحداً يجمع هذه المادة بشكل منهجي موثق. نجد فتاوى متفرقة، ونصائح عابرة، ومقالات قصيرة، وخطباً منبرية، لكن لا نجد موسوعة أو كتاباً وسطاً يصلح للقارئ العادي وطالب العلم معاً. كما أن الأحداث الحالية تستدعي ذلك:

- الاضطرابات في بعض البلدان العربية والإسلامية دفعت ملايين الناس إلى الهجرة إلى بلاد لا أذان فيها ولا مساجد علنية.
- جائحة كورونا غيرت أنماط السفر والإقامة الطويلة، وزادت حالات الاغتراب الافتراضي (حيث يعيش الإنسان في بلاده لكنه معزول عن المجتمع بسبب الإغلاق، وشعر كثيرون بـ"ضیاع المعین" وهم في بيوتهم!).
- ظهور منصات التواصل جعل القصص تنتشر كالنار في الهشيم؛ فقصّة واحدة لشاب يقول: "كنت إماماً في مصر ثم صرت لا أصلي في ميلانو" تصل إلى ملايين خلال أيام، لكن بدون تحليل أو تعقيب أو أمل.

- كبرت جاليات مسلمة في أمريكا اللاتينية، وأوروبا الشرقية، وآسيا غير العربية، وأصبح لدينا جيل كامل نشأ هناك، إما شاردأ وإما متشبثاً بالدين بجهد فردي هائل. هؤلاء يحتاجون إلى كتاب يفهم ظروفهم، ويعطيهم أدوات، وليس فقط يخوفهم.
- لذلك، فإن هذا الكتاب يأتي لسد هذه الفجوة، وليكون مرجعاً معاصراً لكل أسرة تفكر في السفر، وكل شاب على أبواب الاغتراب، وكل داعية يعد مبتعثاً.

ملحوظات داخل الكتاب :

1. التحليل النفسي والاجتماعي جزء من النسيج التحريري للكتاب وسوف أستخدم نظريات معاصرة مثل:

- نظرية "التعرض المجرد (Mere-exposure effect) "Zajonc ، والتي تفسر كيف أن التعود على المشهد (حتى الحرام) يزيد من حب الإنسان له.
- مفهوم "التطبيع الأخلاقي (Ethical normalization) " وكيف تتحول الممارسات غير الأخلاقية إلى عادية بمرور الزمن في بيئة متسامحة معها.
- دراسات عن "الاستدعاء الديني (Religious priming) " وأثر الإشارات الدينية البصرية والسمعية (كالأذان والمساجد) في تعزيز السلوك الأخلاقي.
- نربط هذه النظريات بالأصول الشرعية كقاعدة "الحشمة تمنع الفاحشة" ومفهوم "سد الذرائع" و"مراتب الإنكار."

2. التقسيم المنطقي: سيكون الكتاب مقسماً إلى أربعة أبواب كما هو موضح في الفهرس:

- الباب الأول: يشرح رحمة النعمة وخطورة الألفة، ويعقد مقارنة موضوعية بين البيئات.
- الباب الثاني: يحتوي على قصص واقعية (عربية ومترجمة) مصنفة (متغيرون، مفككون، تائبون، نادمون).
- الباب الثالث: يحلل الآليات النفسية والاجتماعية لظاهرة سحب الثبات واعتياد المعصية.
- الباب الرابع: يقدم حلولاً عملية وإجراءات وقائية للمسافر والمقيم وللجاليات وللمريين.
- ثم خاتمة ومراجع.

سؤال أخير: لماذا اخترت أمريكا الجنوبية كنموذج وليس الغرب الكلاسيكي؟

لاحظ القارئ أن قصة الصديق المسافر كانت إلى أمريكا الجنوبية، وأن جل قصص الباب الثاني ستكون من هذه القارة أو من مناطق مشابهة (أوروبا الشرقية، آسيا الوسطى غير الإسلامية). والسبب ليس تحيزاً، بل لأن الصورة النمطية عن الغرب (أمريكا، كندا، أوروبا الغربية) قد استهلكت كثيراً، وهناك كتب ودراسات كثيرة عن تحديات المسلمين هناك. أما أمريكا الجنوبية فهي "مجهولة نسبياً" للمسلم العربي، وفيها حالات خاصة: الإسلام قليل جداً، المساجد نادرة، المجتمعات منغلقة، واللغة حاجز كبير (الإسبانية والبرتغالية). لذلك اعتبرناها نموذجاً طازجاً لبيئة "فقدت كل معين". لكن القياس ينطبق على أي بلد لا توجد فيه مظاهر إسلامية ظاهرة – سواء كان في أوروبا، أو آسيا، أو حتى داخل بلد إسلامي في منطقة منعزلة.

معين مشكور

لا يخلو هذا الكتاب من الاستفادة من جهود سابقين. فنحن نذكر بالشكر:

- علماء التزكية القدامى كابن القيم والغزالي، الذين سبقوا علماء النفس في وصف "أمراض القلوب" و"آفات الألفة".
- الباحثين المعاصرين الذين نشروا دراسات ميدانية عن المسلمين في الغرب، مثل د. يوسف القرضاوي في "أولويات الحركة الإسلامية"، ود. طارق سويدان في أبحاثه عن القيادة في المجتمعات المسلمة المهاجرة.
- أصحاب القصص الحقيقية (سواء عرفنا أسماءهم أو بقوا مجهولين) الذين وثقوا معاناتهم على الإنترنت، والذين سمحوا بنقل تجاربهم أو سمحوا بتصرف أدبي يحفظ خصوصيتهم.
- صديقي المسافر إلى أمريكا الجنوبية الذي لا أرغب في ذكر اسمه، لكن كلماته أضاءت الطريق.

دعوة للقراءة بروح مختلفة

عزيزي وعزيزتي قراء هذا الكتاب أرجو ممن تناول هذا الكتاب ألا يقرأه كقارئ فضولي يبحث عن قصص مثيرة. ولا كقارئ فقيه يبحث عن فتوى جافة. بل اقرأه كمسافر على وشك أن يفقد وطنه – أو كمن فقد وطنه بالفعل – فأصبح يتطلع إلى نافذة أمل. اقرأه وقلبك يخفق: "أنا غارق في نعمة لا أراها؟ كيف أحافظ عليها؟ وماذا أفعل إن غبت عنها؟"

إن نجحت في إيصال هذه الرسالة، فذلك فضل من الله تعالى، وإن قصرت، فحسبي أنني أردت الخير، والله الهادي إلى سواء السبيل.

عودة على بدء

لنعد إلى وصية الصديق: "احمد الله كثيراً". لم يقل: احمد الله على المال، أو الصحة، أو الأولاد فقط. بل قال: احمد الله على أنك في بلد تسمع فيه الأذان، وترى المساجد، وتلقى من يذكرك بالله ولو بغير قصد.

هذه نعمة لا تُرى، لكنها حين تُفقد - يُبكي عليها.

فيا أيها القارئ قبل أن تطوي هذه المقدمة، اسأل نفسك ثلاث أسئلة:

1. هل تشعر بالأمان الروحي في بيئتك الحالية؟
 2. لو سافرت إلى بلد لا أذان فيه ولا حجاب ولا عابر يوظفك لصلاة الفجر، هل يبقى دينك كما هو؟
 3. كم مرة حمدت الله اليوم على مجرد وجود من يذكرك به؟
- إذا لم تستطع الإجابة بسهولة، فهذا الكتاب لك.
والله موفق، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهرس المحتويات

المقدمة

- تمهيد: قصة الصديق المسافر إلى أمريكا الجنوبية ووصيته "احمد الله كثيراً".
- إشكالية الكتاب: كيف يمكن للإنسان أن يعيش في نعم عظيمة ولا يشعر بها؟ (ظاهرة "الألفة القاتلة").
- الأهداف: إحياء نعمة الوجود في بيئة يذكر فيها الله، وتنبية من يغتربون إلى خطر فقدان المعين، وجمع قصص واقعية معاصرة.
- منهج العمل: عرض كتب ومقالات، ونقل قصص حقيقية من الإنترنت (موثقة)، مع تحليل اجتماعي نفسي.
- هيكل الكتاب: أربعة أبواب وختام وملاحق.

[الباب الأول](#): النعم المحسوسة والنعم المفقودة



الفصل 1: نعمة البيئة الإسلامية ولو قصرت أبنائها

- الأذان والمساجد في الحياة اليومية
- وجود التذكير بالله في الشارع (آيات، كلمات عابرة، حجاب، هيئة)
- سهولة سبل التعلم (حلقات، خطب، دروس)
- استقباح المعصية اجتماعياً (رادع خفيف)
- خلاصة: أنت محاط "بمعين على الثبات" وإن كنت غافلاً.

الفصل 2: بلاد غير المسلمين – ماذا يفقد المرء؟

- فقدان المشهد الديني اليومي (لا أذان، ولا مساجد مرئية، ولا عابر يوقظك للصلاة)
- البيئة العامة محايدة أو معادية للطاعة
- غياب التذكير التلقائي بالآخرة
- اضطراب المرء لبناء منظومة كاملة من الصفر
- الجانب الإيجابي (قلة التمييز أحياناً، مال، حرية) مع تحذير

الفصل 3: خطورة اعتياد المعصية (مراحل التطبيع)

- المرحلة الأولى: الإنكار والنفور
- المرحلة الثانية: التخفف بالمعايشة
- المرحلة الثالثة: الهون وطرح الحرج
- المرحلة الرابعة: الوقوع فيما لم يكن يظن
- شهادة واقعية: "في بلادي كنت أترك النظرة، وهناك صرت لا أستطيع ترك السماع للحرام."

الباب الثاني: قصص من واقع الإنترنت (عربية ومترجمة)

الفصل 1: قصص متغيرين – ممن كانوا مستقيمين ثم فتروا بعد الانتقال

- القصة الأولى (مقتبسة من منتدى عربي): مهندس سوري إلى البرازيل
- القصة الثانية (مترجمة من موقع إنجليزي): طالب مصري في كندا

• القصة الثالثة: فتاة سافرت للدراسة في تشيلي – رواية من تويتر (بإذن)

• تحليل للقواسم المشتركة

الفصل 2: قصص أسر تفككت

• قصة من مجموعة "الجالية المسلمة في الأرجنتين" (فيسبوك) – أسماء مستعارة

• قصة مترجمة من بودكاست إسباني (أمريكي لاتيني اعتنق الإسلام ثم ارتد أبناؤه)

الفصل 3: قصص العودة والتوبة (نافذة أمل)

• شاب غادر إلى ميامي ثم عاد إلى تونس بعد أن هدده الدين

• قصة مترجمة من موقع إسلامي أمريكي: سيدة عادت إلى مصر خوفاً على بناتها

الفصل 4: قصص ندم واعتبار

• رسالة من مسلم يعيش في فنزويلا (منشورة بصفحة دعوية) يصف فيها الوحدة الروحية

• مقاطع مترجمة من فيديو يوتيوب بالبرتغالية (لاجئ سوري في بورتواليزا)

الباب الثالث: التحليل النفسي والاجتماعي للظاهرة

الفصل 1: كيف تسحب البيئة أسباب الثبات خطوة خطوة؟

• مفهوم "المُعِين الخفي" (الأذان، المارة، وجوه الناس)

• نظرية "الاكتساب بالتعرض المتكرر" (Zajonc) "وتطبيقها على المعاصي

• غياب الضبط الاجتماعي البسيط (كقول: يا أخي صلّ على النبي)

الفصل 2: مقارنة بين العيش في "تضييق مع ذكر" و"سعة مع نسيان"

• جدول مقارنة (الضيق المادي/الحرية الشخصية/التذكير/دعم الطاعة/خطورة الاعتقاد)

• لماذا يرى كثير من المغتربين أن "الحرية" هناك فخ؟

الفصل 3: ألفة النعمة – لماذا لا نشعر بما عندنا؟

• آيات وأحاديث عن شكر النعم

• قصة الصديق المسافر: "أخطر ما في النعمة أن تغرق فيها حتى لا تراها"

- تطبيقات معاصرة: جيل لا يعرف معنى الأذان حتى يفقده

الباب الرابع: كيف نحفظ النعم ونستعد لغيابها؟

الفصل 1: شكر النعم عملياً

- برنامج يومي لاستشعار النعم (دفتر شكر، تذكير متعمد)
- فقه الأولويات في بيئات الأقليات الإسلامية

الفصل 2: النصائح الموجزة للمسافرين والمهاجرين

- قبل السفر: بناء عادات ثابتة (صلاة، ورد قرآني، حلقات أونلاين)
- بعد الوصول: البحث عن جالية صالحة ولو ضعيفة
- وضع حدود للمعايشة: لا تبدأ بـ"مجرد مشاهدة"

الفصل 3: دور الجاليات المسلمة في الخارج

- ضرورة إنشاء بيئات مصغرة (مساجد، مدارس، مخيمات)
- نماذج ناجحة (جالية مسجد لندن المركزي، مجموعة مسلمي تكساس)

الفصل 4: تربية الأبناء في ظل غياب المعين

- تعويض المسجد بالقيم المنزلية الحادة
- قصص واقعية عن آباء نجحوا (مقتبسة من مدونات مهاجرين)

الخاتمة

- خلاصة الرسالة: النعمة الحقيقية ليست في كثرة المال أو الحرية، بل في وجود من يدرك بالله ولو بغير قصد.
- تذكير بقول الصديق " :ألا إن أخطر ما في النعمة أنك تغرق فيها حتى إنك لا تراها."
- دعوة: احمد الله الآن على الأذان والمساجد ووجوه المسلمين، قبل أن تغترب أو تموت.
- خاتمة: لا نطلب ذم الاغتراب، بل نطلب اليقظة والعمل على حفظ ما عندنا.

المراجع :

الباب الأول

النعم المحسوسة والنعم المفقودة

مقدمة الباب الأول: النعم المحسوسة والنعم المفقودة

قبل أن نطلق أقدامنا في تفاصيل هذا الباب، لا بدّ من تثبيت أصل قرآنيّ عظيم: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [إبراهيم: 34]. نحن نعيش في بحرٍ لا نحصي قطراته، ومع ذلك نمزج على معظم النعم كأنها هواء نتنفسه دون أن نُقدِّره حتى نخنق. الباب الأول من كتابنا يُعنى برصد "النعم المحسوسة" التي نشعر بها (كالطعام والشراب والأمن)، وتلك "النعم المفقودة" التي لا نشعر بها إلا حين نُبتلى فُقدانها. وفي هذا الفصل الأوّل، نقف عند أعظم نعمة قد تغيب عن البصيرة: **نعمة البيئة الإسلامية ولو قصّرت أبنائها**. البيئة التي تُدكِّكُ بالله ولو لم تتعمّد، التي تدفعك إلى الخير ولو لم تشعر، التي تجعل المعصية شاذة منبوذة، والطاعة أمراً طبيعياً كالمشي والتنفس. هذه بيئةٌ تجعلك "محاطاً بمعينٍ على الثبات" ولو كنت غافلاً.

الفصل الأول: نعمة البيئة الإسلامية – ولو قصّرت أبنائها

أولاً: الأذان والمساجد في الحياة اليومية

إذا أردنا أن نبدأ من أعلى صوت في سماء ديارنا الإسلامية، فإنه صوت الأذان. في صحيح البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا" (رواه البخاري 615، ومسلم 437).

وعن المؤذنين أنفسهم قال ﷺ: "الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (رواه مسلم 387).

الأذان ليس مجرد إعلان لوقت الصلاة؛ إنه إعلان يومي متكرر للهوية الإسلامية، وتثبيت للذكر في الوجدان الجمعي. فالمسلم في بلاد الإسلام يستيقظ في الغالب على صوت الفجر، ويسمع الظهر وهو في سوقه، والعصر في عمله، والمغرب مع عودته، والعشاء مع هدوئه. هذا التكرار اليومي يُشكّل ما يُسمّى في علم النفس الحديث **التعرض المتكرر (Mere-exposure effect)**، حيث أن التعرّض المتكرر لمثيرٍ يزيد من حب الشخص لهذا المثير. افتراضياً، يزيد الأذان المكرّر من انجذاب النفس إلى ذكر الله ولو لم تدرك.

وبالموازاة، المساجد: بيوت الله في الأرض، وقد قال النبي ﷺ: "مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" (رواه مسلم 533). قال ابن تيمية عن صلاة الجماعة في المسجد: "اتَّفَقَ

العلماء على أنها من أوكيد العبادات، وأجل الطاعات، وأعظم شعائر الإسلام" (مجموع الفتاوى، 222/23). والمسجد للمسلم المقيم في بلاد الإسلام هو "واحة من واحات الإيمان" كما جاء في تعريف الباحثين. إنه ليس مكاناً للصلاة فقط، بل مركز تجمع، ومدرسة، ومحكمة للعرفان أحياناً. وفي كثير من البلدان الإسلامية، ترى المساجد في كل حي، كالنقاط المضيئة على خريطة المدينة.

من القصص المؤثرة :

يروى أحد المغتربين الذي سافر للدراسة في الخارج: "لولا سماع الأذان في كثير من البلاد العربية، لما عرفت أنك تعيش بين مسلمين، إلا من رحم الله . "وأخر يقول: "لأول مرة أجد نفسي أعتمد على هاتفي لأعرف مواقيت الصلاة، ووجدت صعوبة في التوفيق بين مكاني في الإمارات - كدولة عربية إسلامية - وبين حقيقة أنني لم أعد أسمع الأذان" مترجم من قصة مسلمة كانت في الإمارات بعد انتقالها لمنزل ببلد جديد بعيداً عن المساجد. (وفي مقال بصحيفة القدس العربي، يكتب أحدهم: "أفتقد الأذان كنت أذكر أجراس الكنائس تقرع في الأحاد والأعياد والمناسبات المسيحية في بلادنا العربية دون أدنى معارضة، بينما المساجد في أوروبا. ..."

هذه ليست مجرد عواطف، بل دليل على أن النعمة - صوت الأذان ووجود المساجد - تنقلب إلى "زاد روجي" عند الغياب.

ثانياً: وجود التذكير بالله في الشارع - آيات، كلمات عابرة، حجاب، هيئة

المسلم في بلاد الإسلام لا يحتاج إلى جهد كبير حتى يذكره أحد بالله. ففي الأسواق، قد تجد آية قرآنية مكتوبة على لوحة، أو ملصقاً، أو على قميص مار. قد يمر رجل ملتج بسكينة ووقار، فتتذكر سنة النبي ﷺ. قد تمر امرأة محجبة متسترة، فتتذكر آية الحجاب والعفاف. وقد يسمع المسلم في شارع كمة عابرة من شخص غريب: "يا أخي صلّ على النبي"، "استغفر الله"، "تقبل الله".

الحجاب تحديداً ليس مجرد لباس، بل هو "طهارة وعفاف، وفرض من الله وطاعة للرسول، ويهدف إلى حفظ عفة المرأة وصونها من أذى" (مركز الفتوى بإشراف الشيخ خالد عبد المنعم). (وهو أيضاً "داع إلى مكارم الأخلاق من العفة والاحتشام والحياء والغيرة" (إسلام ويب). وعن الحياء، شعار الإسلام الأخلاقي، قال النبي ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" (رواه البخاري 9، ومسلم 35).

وجود الهيئات الإسلامية الظاهرة (حجاب، لحية، غض بصر، وقار في المشي) يخلق ما يُسمّى بـ"الضبط الاجتماعي غير المباشر". لا أحد يراقبك، لكن الشعور بأن من حولك يرونك ويحكمون عليك بخفة يكفي لردعك أو تذكيرك. يقول ابن القيم في "الداء والدواء": "إن الذنب صغير في نفسه، لكنه يكبر بعظم من أذنب له؛ فالذنب لا يُنظر إلى صغره، بل يُنظر إلى عظمة من عصيت". وجود من يوقظك بكلمة عابرة، حتى لو كانت بلا قصد، هو رحمة من الله.

ثالثاً: سهولة سبل التعلم – حلقات، خطب، دروس

في البيئة الإسلامية العادية، العلم الشرعي ليس سلعة نادرة. المساجد تملؤها حلقات تحفيظ القرآن ودروس العلم والخطب المنبرية بعد كل صلاة جمعة. هناك مكاتب إسلامية، وقنوات فضائية، وبرامج إذاعية، وندوات، ومؤتمرات، ومنصات إلكترونية كثيرة. طالب العلم لا يحتاج إلى السفر آلاف الأميال لسماع حديث أو فتوى.

عن النبي ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ" (رواه مسلم 2699). وعن السلف: قال سفیان الثوري رحمه الله: "ما أعلم عملاً أفضل من طلب العلم، وحفظه لمن أراد الله تعالى به خيراً" (شرح السنة للبغوي، 1/279).

لكن الأهم هو سهولة الوصول: يمكنك أن تخرج من باب المسجد بعد صلاة العصر، ثم تدخل حلقةً للقرآن أو حديث أو فقه، وتجلس وأحد كبار العلماء دون استئذان أو رسوم باهظة. هذا في بلاد الإسلام. بالمقابل، يجلس أحد المغتربين في أستراليا ليقول: "عليّ أن أسافر ساعتين بالسيارة لأصلي الجمعة، ونادراً ما أجد درساً علمياً، ولا توجد مكتبة إسلامية في مدينتي. وأطفالي يكبرون ولا يسمعون كلمة 'الحمد لله' إلا مني" (من حوارات منتدى "جالية مسلمي كوينزلاند" 2022، بتصرف). هذا هو غياب النعمة: حيث تتحول السهولة إلى تعقيد، والوفرة إلى ندرة.

رابعاً: استقباح المعصية اجتماعياً – رادع خفيف

في المجتمع المسلم، حتى أضعف المسلمين يستقبح المعصية. إذا شرب أحدهم الخمر علناً، أو زنى، أو سرق، أو ترك الصلاة جهاراً، فإن المجتمع يقلب ظهر المجهر له، وإن لم تكن هناك دولة تطبق الحدود. هذا الرادع الأخلاقي هو نوع من "الضبط الاجتماعي" غير المكلف، وغير المسلح. إنه ضمير الجماعة الذي يضغط على الفرد ليكون أفضل.

ما هي المعصية التي تقترف جهاراً بلا عار؟ قليلة جداً. وحتى في المجتمعات التي ضعفت فيها الرقابة الدينية، يبقى حياء اجتماعي خافت يمنع الفساق من المجاهرة. وهذا هو بذاته معين على الثبات.

يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [النور: 19]. فالمجتمع المسلم يحب ستر الفاحشة، لا إشاعتها. وهذا يعكس أن القيم الإسلامية متأصلة في الوجدان الجمعي.

خلاصة الفصل: أنت محاط "بمعين على الثبات" وإن كنت غافلاً

يستخلص من هذا الفصل أن البيئة الإسلامية ليست مثالية، ولكنها بيئة داعمة للثبات. مثلما أن الهواء الذي تتنفسه لا تشعر به حتى ينقطع، فإن الأذان والمساجد ووجوه المسلمين وكلماتهم العابرة والدروس العلمية واستقباح المعصية كلها "معين على الثبات" موجود بجوارك، في كل وقت، وبدون

جهد يذكر منك. المشكلة ليست في وجود المعين، المشكلة أنك قد تغرق فيه حتى لا تراه، فلا تشكره، ثم قد تفقده فتصبح في صحراء روحية قاحلة.
لذلك، ينبغي أن نقف طويلاً أمام هذه النعم، ونحمد الله عليها حمداً عملياً قبل نظريّ.

المراجع الخاصة بهذا الفصل:

1. القرآن الكريم – آيات 34 من سورة إبراهيم، وآية 19 من سورة النور.
2. صحيح البخاري – أحاديث رقم 615، 608، 9.
3. صحيح مسلم – أحاديث رقم 437، 387، 389، 533، 35، 2699.
4. مجموع الفتاوى لابن تيمية. (23/222)
5. ابن القيم – كتاب "الداء والدواء" (باب خطورة الألفة).
6. شرح السنة للبغوي (279/1) – نقلاً عن سفيان الثوري.
7. إسلام ويب – مقالات "الحجاب طهارة وعفاف" و"الترغيب في الحجاب" ومقالات أخرى.
8. مقال بصحيفة القدس العربي المؤرخ 2 سبتمبر 2009 للأديب محمد الشحات.
9. منتدى جالية مسلمي كوينزلاند، مداخلة بتاريخ 2022 (مجهولة المصدر، بتصريف).
10. مدونة The Gazelle، مقال بعنوان "Missing The Call To Prayer On Saadiyat" (بتصريف وترجمة).

الباب الأول: النعم المحسوسة والنعم المفقودة

الفصل الثاني: بلاد أخرى – ماذا يفقد المسلم من المعين؟

"لقد عشت في بلدي أسمع الأذان خمس مرات في اليوم، وأرى المساجد من كل نافذة، وأغضب إذا تأخر الخطيب في خطبته. هنا، لا أسمع شيئاً، ولا أرى قبة ولا مئذنة، وأصبحت أبحث عن القبلة بقلب خائف. يا ليتني كنت شكوراً." – من شهادة مغترب في أمريكا اللاتينية (منشور في منتدى إسلامي، 2018، بتصريف).

في الفصل السابق، وقفنا ملياً أمام النعم التي نعيش فيها ونحن غارقون فيها حتى لا نراها. رأينا كيف أن البيئة الإسلامية – مع كل تقصيرها – تمد المسلم بمعين على الثبات قد لا يشعر به. والآن، نتجه إلى قارة أمريكا الجنوبية، ونطل منها على صور المعين المفقود. لكن القارئ لا يظن أن الكلام مقصور على هذه القارة فحسب؛ بل كل بلاد لا يُسمع فيها الأذان، ولا تُرى فيها المساجد، ولا يُلقى فيها مسلم يذكر مسلماً بالله، فهي داخلة في هذا الباب، سواء كانت في أوروبا أو آسيا أو أوقيانوسيا. سنرصد ما يفقده المسلم هناك، من خلال القصص التي يرويها المغتربون بألسنتهم، ومن خلال التحليل النفسي والاجتماعي الذي يفسر كيف يتحول الفراغ إلى خطر.

أولاً: فقدان الأذان والمساجد – الصمت المخيف

قد لا يشعر الإنسان في بلاد الإسلام بقيمة صوت الأذان حتى يفقده. الأذان هناك ليس مجرد إعلان، بل هو توقيع يومي على الهوية، وهمس مستمر في النفس بأن الله أكبر. عندما يغادر المسلم إلى بلاد لا يعرف فيها الأذان، فإن أول ما يصدم به هو الصمت.

في شهادة مؤثرة على موقع إسلام ويب، كتب أحد المغتربين للدراسة في الخارج: "الآن لم أعد أسمع الأذان، وكلما أتذكر الأذان والمسجد أشعر بالضيق، وأحياناً يغلبني البكاء، لم أريد أن أخبر أحداً حتى لا يكون رياءً، لكنني أريد نصيحتكم". هذه الشهادة ليست حالة فردية، بل هي نمط متكرر في كل من ينتقل من بيئة "صاخبة" بالذكر إلى بيئة صامتة روحياً.

أما المساجد، ففي كثير من بلاد أمريكا الجنوبية ليست مجرد نادرة، بل هي شبه معدومة خارج المراكز الكبرى. في تشيلي، على سبيل المثال، يشكل المسلمون أقل من 0.02% من السكان، وعددهم لا يتجاوز حوالي 5,000 شخص، يتركزون في مدينتي سانتياغو وإكيبكي. ماذا يعني هذا؟ يعني أن مسلماً يعيش في بلدة نائية قد لا يجد مسجداً على الإطلاق، أو قد يضطر إلى السفر ساعات ليصلي الجمعة في مدينة بعيدة. وقد أشارت الدراسات إلى أن قلة المساجد وضعف التعليم الإسلامي من أبرز التحديات التي تواجه الجاليات المسلمة في أمريكا اللاتينية.

يقول سليمان (إرنستو) جيديس، وهو أحد الدعاة في أمريكا الجنوبية: "بمقدار الإسلام موجوداً في الأرجنتين لعقود، لكن فرص التعلم كانت قليلة ومتباعدة. عندما يسألني الناس كيف وصلت إلى الإسلام، أقول إنها معجزة أننا مسلمون أصلاً". إنها معجزة حقاً، أن يحافظ إنسان على إيمانه في بيئة لا تعينه، ولا تذكره، ولا تزوده بمسجد قريب، ولا بأذان يعلن الوقت كل ساعة.

حتى في المدن التي يوجد بها مساجد، فإن بعضها يعاني من نقص حاد في الأئمة والمعلمين المتخصصين، ما يحد من انتظام التعليم الديني في بلد واسع المساحة. «وهكذا، يواجه المسلم في البرازيل، الذي يبلغ عددهم حوالي 1.5 مليون نسمة (معظمهم من أصول عربية أو مهاجرين)،

تحديات عدة، منها: صعوبة الحفاظ على هوية الأبناء، ونقص المؤسسات التعليمية، وذوبان الثقافة الإسلامية في المجتمع البرازيلي ذي الأغلبية الكاثوليكية.

ثانياً: فقدان التذكير اليومي بالله – العابر الذي يوقظ

في بلاد الإسلام، المسلم محاط بـ"مذكرات" مجانية لا يدفع ثمنها: رجل ملتج يمر في الشارع، امرأة محجبة، كلمة "الحمد لله" تخرج من فم طفل، حتى دكان بجانبه مسجد. في تلك البيئات، التذكير بالله يأتي كالهواء.

في أمريكا اللاتينية، غالباً لا تجد هذه المذكرات. البيئة محايدة أو معادية. الحجاب، الذي هو علامة فارقة للمسلمة، قد يكون سبباً في التمييز أو الخوف. في تقرير لـ Middle East Eye، تحكي برازيلية اعتنقت الإسلام: "أنا خائفة من ارتداء الحجاب". هذا الخوف ليس فقط من المضايقة، بل من الاغتراب الاجتماعي، ومن أن تصبح "الغريبة" في مجتمعها.

وهناك أيضاً معوقات عملية تمنع التذكير. في فنزويلا، كما في دول أخرى، يعاني المسلمون من ذوبان كثير من أبناء المسلمين في المجتمع المحلي، حيث ضيع كثير منهم دينه ولغته، وتنصر أولاد بعضهم بسبب عدم وجود تربية إسلامية منظمة. وأحد الأسباب المهمة هو نقص المعلمين والأئمة المتخصصين، إضافة إلى ندرة المواد الإسلامية المترجمة إلى الإسبانية والبرتغالية.

غياب "الآخر المسلم" الذي يراك ويذكرك بالله، يجعل المسلم يواجه معركة مع نفسه وحده. وهذا أحد أخطر ما يفقده المرء في بلاد أخرى.

ثالثاً: فقدان سبل التعلم الديني – العطش المعرفي

في بلاد المسلمين، إن أردت أن تتعلم دينك، فالطرق مفتوحة. في أمريكا اللاتينية، الوضع مختلف تماماً. مراكز التعليم الإسلامي – إن وجدت – قليلة، وغالباً ما تكون بعيدة، وتفتقر إلى الموارد.

يقول مسلم يعيش في الأرجنتين عن تحدي تربية الأبناء هناك: "حتى الآن، لدينا ربما خمسة أو ستة مساجد رسمية في الأرجنتين. هناك عدد قليل جداً من المدارس أو المراكز الإسلامية، لذلك لا توجد بيئة إسلامية حقيقية لتربية الأطفال". هذه الشهادة، التي تعكس واقع كثير من دول أمريكا الجنوبية، تُظهر أن سبل التعلم الديني تفقد بشكل شبه كامل. فلا مدارس لتحفيظ القرآن، ولا حلقات علم منتظمة، ولا معاهد شرعية، بل حتى الكتب الإسلامية بلغتهم غير متوفرة.

وقد حذرت الدراسات من أن الجهل بتعاليم الإسلام الأساسية وقلة الاهتمام باللغة العربية من أبرز الصعوبات التي يعاني منها المسلمون في القارة. وفي بحث صدر عن WhyIslam، ورد أن نقص

المعرفة بالثقافة الإسلامية والدين، ونقص التعليم الرسمي للغة العربية، ونقص الموارد الاقتصادية، ونقص المواد الإسلامية باللغة الإسبانية كلها تحديات تواجه مسلمي أمريكا اللاتينية. وهذا الجهل ليس ذنبهم، بل هو نتيجة غياب المعين المعرفي الذي يسهل الوصول إليه في بلاد الإسلام.

هذا الفقر المعرفي يؤدي تدريجياً إلى ضعف الأساس، ثم إلى ضعف الممارسة، ثم إلى ضعف الإيمان نفسه.

رابعاً: فقدان الاستقباح الاجتماعي للمعصية – المرأة التي لا رادع لها

في البيئة الإسلامية، حتى لو كانت ضعيفة، تبقى المعصية مستقبحة اجتماعياً. في أمريكا اللاتينية، الوضع مختلف تماماً. الكحول مباح، والاختلاط شائع، والملابس غير المحتشمة هي القاعدة، والعلاقات غير الشرعية ليست عيباً اجتماعياً كبيراً. عدم وجود "رادع اجتماعي" يجعل المسلم – وخاصة الشاب – أكثر عرضة للوقوع في المعاصي دون أن يشعر بالعار، بل قد يشعر بأنه "يتأقلم" مع المجتمع.

ومن المهم أن نذكر بآلية "اعتياد المعصية" التي ذكرها صديقنا المسافر في مطلع الكتاب: في البداية ينكرها القلب، ثم مع مرور الزمن وكثرة المعاشاة يخف إنكاره لها، حتى تهون عليه ويعتادها، إن لم يقع فيها.

نموذج صارخ على فقدان الحياء المجتمعي: في البرازيل، توجد أعداد كبيرة من المسلمين الجدد، لكن تقريراً يشير إلى أن الكثيرين من هؤلاء – خاصة النساء – يجدن صعوبة في ارتداء الحجاب، وقد لا يصلن إليه أبداً، بسبب ضغط المجتمع وعدم وجود بيئة داعمة. الحجاب ليس مجرد قطعة قماش، بل هو تجسيد للحياء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجوده في المجتمع يذكّر، وغيابه ينسي.

في مثل هذه البيئة، لا تكاد تجد من يغضب إذا سمع أغاني أو رأى منكرًا. لا أحد يقول لك "اتق الله" أو "صل على النبي". بل العكس، قد يسخرون منك إن فعلت. المسألة ليست أن المعصية موجودة فقط، بل أنه لا يوجد من ينكرها، فتتحول إلى أمر عادي طبيعي.

خامساً: تأثير غياب الأهل والمجتمع المسلم – سقوط السند

آخر ما يفقده المسلم في بلاد أخرى، وربما أهمه، هو الدعم الأسري والمجتمعي. الأهل والأقارب والجيران المسلمون ليسوا مجرد أشخاص نلتقي بهم؛ هم نظام دعم كامل. يذكرونك بالله، يحثونك على الخير، يشاركونك الأعياد والمناسبات. في مجتمع غير مسلم، تفقد هذا السند.

في فنزويلا، "ذاب كثير من أبناء المسلمين في المجتمع الفنزويلي، وضيعوا دينهم ولغتهم، وتنصر أولاد بعضهم بسبب عدم وجود تربية إسلامية منظمة". "هذا نتيجة طبيعية لغياب الأهل والمجتمع: فالآباء مشغولون بالعمل، والأبناء يتعاملون مع بيئة لا تعرف الإسلام، فلا يوجد جد أو جدة يعلمهم الصلاة، ولا أصدقاء في المدرسة يذكرونهم بالله، ولا مجتمع مسلم يحتفل معهم بعيد الفطر.

وهذا يتفق مع أحد التحديات التي رصدتها الدراسات: "ضعف الترابط الاجتماعي والأسري بين المسلمين في أمريكا اللاتينية"، ومن أبرز صور هذا الضعف: "زواج الكثير من أبناء المسلمين من غير المسلمات، مما يؤدي إلى ضعف وانحسار الهوية الإسلامية عبر الأجيال".

باختصار، غياب الأهل والمجتمع المسلم يعني أن المسلم يواجه معركته وحده، وغالباً ما يخسر.

خلاصة الفصل: أنت تنتقل من "واحة" إلى "صحراء"

بعد هذا الاستعراض، نستطيع أن نقول بثقة: المسلم الذي يعيش في بيئة إسلامية – ولو ضعيفة – يملك معيناً على الثبات لا يقدر بثمن. صوته الأذان، وبصره المساجد، واستقباح البيئة للمعصية، وسبل التعلم المتاحة، والأهل والمجتمع الداعم. عندما ينتقل إلى بلاد أخرى، يجد نفسه في صحراء روحية؛ قد تكون جميلة، قد تكون غنية، قد تكون حرة، لكنها قاحلة من كل ما يعينه على دينه.

ليس كل شيء سيئاً هناك، ولكننا نتحدث عن "المعين المفقود". إنه مثل عصفور خرج من قفصه الذهبي إلى ساحة خضراء واسعة؛ يفقد الأمان الذي كان يحيط به.

على من يهم بالسفر أو الهجرة أن يعي هذا الفارق جيداً، وأن يستعد له، وأن يبني معينه الخاص قبل أن يفقد المعين العام.

المراجع الخاصة بهذا الفصل:

1. موقع إسلام ويب – "مغرب للدراسة وأفتقد سماع الأذان وارتياح المساجد، فبما تنصحه؟"، 5 نوفمبر 2018.
2. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – "التحديات الثقافية التي تواجه الجاليات المسلمة في أمريكا اللاتينية وسبل مواجهتها: الأرجنتين نموذجاً".

3. WhyIslam – "Latin American Muslims: History, Challenges, and Future"، 22 يناير 2025.
4. SeekersGuidance – مقابلة مع سليمان (إرنستو) جيديس، "It's a Miracle We're Muslim: The Argentinian Muslims' Struggle"، 28 نوفمبر 2015.
5. " – iumsonline المسلمون في البرازيل"، 19 سبتمبر 2014.
6. " – Muslims Around the World الهوية: التحدي الأول أمام مسلمي البرازيل"، 9 يناير 2020.
7. Middle East Eye – "Brazilian, female, and a Muslim convert: 'I am afraid to wear a hijab'"، 13 ديسمبر 2022.
8. "Islam in Argentina in 5 Questions" – Bi' DÜNYA HABER، 4 أغسطس 2023.
9. " – Dawa Center مسلمو فنزويلا.. الواقع والتحديات"، 20 أغسطس 2016.
10. موقع الألوكة – مقابلة مع د. سامي المشطاوي، مدير معهد العلوم الإسلامية في تشيلي، 10 ديسمبر 2012.
11. موقع مسلم حول العالم – "ماذا تعرف عن مسلمي تشيلي؟"، 20 مارس 2022.
12. العربي الجديد) نقلاً عن " – (ArabicPost الجالية العربية المسلمة في كولومبيا.. هجرة بدأت قبل أكثر من مئة عام"، 9 أبريل 2023.
13. مقال علمي Omri Elmaleh – ، جامعة براون، 2022-2023.

الباب الأول: النعم المحسوسة والنعم المفقودة

الفصل الثالث: خطورة اعتياد المعصية – مراحل التطبيع

"أخطر ما هناك اعتياد المعصية، وإن كبرت؛ ففي البداية ينكرها القلب، ثم مع مرور الزمن وكثرة المعاشية يخف إنكاره لها، حتى تهون عليه ويعتادها، إن لم يقع فيها من حيث لم يكن يظن".

هذه الكلمة التي قالها صديقنا المسافر إلى أمريكا الجنوبية ليست مجرد انطباع شخصي، بل هي خلاصة تجارب آلاف المسلمين الذين انتقلوا من بيئة إسلامية – على ضعفها – إلى بيئة لا تعين على الطاعة، بل تدفع إلى المعصية أحياناً. في هذا الفصل، نتوقف أمام هذه الآلية الخطيرة بتحليل

شرعي ونفسي، وبرصد قصص واقعية، لنفهم كيف يتحول المسلم تدريجياً، وكيف يتغير قلبه، وكيف تخف حساسيته تجاه المحرمات حتى تصبح أمراً عادياً، ثم ربما حسناً في نظره.

أولاً: الأساس الشرعي – تزيين المعصية والران على القلوب

قبل الدخول في التحليل النفسي، علينا أن نثبت الأصل الشرعي لهذه الظاهرة. فاعتياد المعصية ليس وصفاً عارضاً، بل هو سنة إلهية في النفس البشرية، أشار إليها القرآن والسنة في مواضع متعددة.

أ- تزيين المعصية . من الشيطان إلى التصديق

القرآن الكريم يخبرنا أن الشيطان يُزَيِّن للإنسان المعصية: {وَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 43]. والتزيين ليس مجرد دعوة عابرة، بل هو عملية مستمرة يبث فيها الشيطان في نفس الإنسان تصوراً مشوهاً عن المعصية، فيراها على غير حقيقتها. وقد شرَّح ابن القيم رحمه الله هذه العملية بدقة بالغة في كتابه "شفاء العليل"، إذ قال: "فالبلاء مُرَكَّب من تزيين الشيطان، وجهل النفس، فإنه يزين لها السيئات ويريبها إيها في صورة المنافع واللذات والطيبات، ويُغفلها عن مطالعتها لمضرتها، فيتولد من بين هذا التزيين، وهذا الإغفال والإنساء لها: إرادة وشهوة. ثم يمدّها بأنواع التزيين، فلا يزال يقوى، حتى يصير عزماً جازماً يقترن به الفعل."

هذا الكلام – الذي كتبه ابن القيم قبل قرون – يصف بدقة آلية التطبيع التي سنعرضها لاحقاً. فالشيطان لا يدفع الإنسان إلى الكبيرة دفعة واحدة، بل يبدأ بتزيين الصغائر، وتزيين التعرض للمعصية "دون وقوع فيها"، ثم تزيين التهاون، وهكذا.

ب- مراحل تزيين المعصية – التصغير، ثم التطبيع، ثم التحسين

في حديث نبوي عظيم يحذرنا من "احتقار الذنب"، يقول النبي ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ" (رواه أحمد وغيره)، ويضرب مثلاً بقوم نزلوا في واد فجاء هذا بعود وهذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم. فالمعصية قد تبدأ صغيرة، ثم تكبر بالتراكم.

وقد أشار بعض الباحثين المعاصرين إلى أن هذه الظاهرة تتطور عبر مراحل ثلاث:

1. **مرحلة التصغير (Belittling Phase)** يبدأ المسلم في تبرير المعصية أو التقليل من شأنها، فيقول لنفسه: "ليست كبيرة، أنا لست مثالياً، سأتوب بعد قليل، هذا أمر بسيط..." يتجاهل أن هذا الفعل مكروه عند الله، ويركز فقط على رحمته، ويتساهل في الاستغفار. هذه المرحلة هي أخطر ما يكون، لأنها البوابة لدخول أوسع.

2. **مرحلة التطبيع (Normalizing Phase)** مع التعرض المتكرر، يبدأ المسلم في التعود على المعصية. يصبح الفعل الذي كان مستنكراً في الماضي "عادياً". وتكرار الرؤية والمعاشية، يفقد الشعور بالحرمة تدريجياً. هذا هو ما تشير إليه الدراسات النفسية

بـ"التعود" أو "إزالة الحساسية" (Desensitization) ، حيث تنخفض الاستجابة العاطفية السلبية تجاه المثير بمرور الوقت.

3. **مرحلة إعادة التعريف : (Redefining Phase)** وهي أخطر المراحل وأكثرها دماراً. يصل الإنسان فيها إلى أن يرى المعصية ليس مجرد عادية، بل شيئاً حسناً وجيداً، ويصبح تبريرها لدى نفسه ولدى الآخرين أمراً سهلاً. وقد أشار القرآن إلى هذه الحالة بقوله: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} [فاطر: 8]، وقوله عن قوم الكهف: {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}، وهم "الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" {الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: 103-104].

ج- أثر الرّان على القلب

في الحديث الصحيح، يصف النبي ﷺ كيف تتراكم الخطيئة تأثيراً على القلب: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ؛ وَإِنْ زَادَ، زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [رواه الترمذي 3334، والنسائي في الكبرى 11550، وحسنه الألباني]. [فكل معصية تترك أثراً على القلب، وإذا تكررت تتابعت الآثار حتى يُغلف القلب ويُحال بينه وبين رؤية الحق، وهنا يصبح اعتياد المعصية وعدم الشعور بها حقيقة واقعة. وهذا يُفسر سبب تحول الإنسان المستقيم إلى شخص لا يكاد يبالي بمنكر يراه أو يفعله.

ثانياً: آلية اعتياد المعصية في ضوء علم النفس الحديث

ما وصفته الشريعة قبل أربعة عشر قرناً، جاء علم النفس الحديث ليؤكد به بلغة معاصرة. هناك عدة آليات نفسية تفسر لنا كيف يتغير الإنسان في بيئة جديدة:

1. تأثير التعرّض المُجرّد (Mere-Exposure Effect)

نظرية وضعها عالم النفس زاجونك (Zajonc) في عام 1968، وتنص على أن التعرّض المتكرر لمثير ما – أي رؤيته مراراً وتكراراً – يزيد من إعجاب الشخص بهذا المثير، حتى دون الحاجة إلى تفكير واعٍ. أي أن مجرد رؤية الشيء باستمرار يجعله محبوباً في النفس، ولو كان في البداية مستنكراً.

إذا طبقنا هذه النظرية على معضلتنا: المسلم القادم من بيئة إسلامية يصل إلى بيئة ترى فيها المعصية علناً يومياً. في البداية ينكرها قلبه، لكن مع كثرة الرؤية والمعاشية، يبدأ لا إرادياً في اكتساب مشاعر أقل سلبية تجاه هذه المشاهد، ثم ربما قبولاً لها، ثم إلفاً، ثم ربما حباً (إذا لم يكن في قلبه مناعة كافية). وهذه الآلية هي التي جعلت الصديق المسافر يقول: "في البداية ينكرها القلب، ثم مع مرور الزمن يخف إنكاره لها."

وهذه الظاهرة يطلق عليها في علم النفس أيضاً اسم "إزالة الحساسية" (Desensitization) ، حيث يصبح الشخص أقل استجابة انفعالية تجاه الشيء الذي تعود عليه. في السياق الأخلاقي، هذا يعني أن الشعور بالذنب والعار تجاه المعصية يخف تدريجياً، حتى يكاد يختفي.

2. التقنيات التعويضية (Techniques of Neutralization)

هي مجموعة من الآليات العقلية التي يستخدمها الناس لتبرير سلوكهم الخاطئ والحفاظ على صورتهم الذاتية كأشخاص أخلاقيين. ومن هذه التقنيات:

- إنكار المسؤولية: "ما لي حيلة، الظروف هي التي أجبرتني."
- إنكار الضرر: "معصيتي لا تضر أحداً، إنها تخصني وحدي."
- لوم المُلقِي باللوم: "الناس هنا هكذا، والمجتمع فاسد، فلماذا أكون مختلفاً وأعذب نفسي؟"

المسلم المهاجر الذي يجد نفسه في بيئة لا تعينه على الثبات قد يلجأ إلى هذه التقنيات تدريجياً ليبرر تهاونه أو وقوعه في معصية كان يراها في الماضي كبيرة. مع كل تبرير، يصبح الطريق إلى الخطيئة التالية أسهل.

3. الانسلاخ الأخلاقي (Moral Disengagement)

نظرية وضعها عالم النفس ألبرت باندورا (Albert Bandura) ، وتشرح كيف يمكن للإنسان أن يرتكب أفعالاً لا تتوافق مع قيمه الأخلاقية دون أن يشعر باللوم. يحدث ذلك من خلال آليات متعددة، منها: استخدام ألفاظ مخففة (كتسمية الزنا بـ"علاقة"، أو الربا بـ"فائدة بنكية")، ومقارنة الذات بأسوأ الآخرين للتقليل من شأن فعله ("الناس هنا أسوأ مما أفعله بكثير")، وتجاهل أو تحريف العواقب.

عندما يستخدم المسلم هذه الآليات كلما أذنب، فإن حساسيته تجاه الذنب تتناقص باستمرار، وهذا ما يُعرف بـ"انزلاق المنحدر" (slippery slope) "نحو اعتياد المعصية.

4. الانهيار التراكمي للمقاومة النفسية

هناك أيضاً نظرية "الانحراف المنفلت" أو " (Delinquent Drift) "، التي تقول إن إضعاف الضوابط الاجتماعية والأخلاقية يجعل الفرد ينزلق ببطء نحو السلوك المنحرف دون أن يشعر باللمحة الحاسمة التي تغير فيها. وهذا ما يحدث للمسلم المهاجر: غياب المجتمع المسلم الذي يذكره، وضعف الضبط الاجتماعي، وعدم وجود من يراه ويستنكر عليه، كل هذه عوامل تضعف مقاومته النفسية خطوة بخطوة.

ثالثاً: اعتياد المعصية – قصص واقعية من المهاجرين

الوقوف على النظريات وحدها لا يكفي؛ لا بد من الاستماع إلى أصحاب التجارب أنفسهم، الذين عاشوا هذه المعاناة وآثروا نقلها للعبارة:

القصة الأولى: من محافظ إلى متساهل – ثلاث سنوات في البرازيل

"كنت في بلدي لا أترك صلاة الجماعة في المسجد إلا لعذر، كنت أخاف النظر إلى النساء، أبتعد عن أماكن الاختلاط، وأحرص على أذكار الصباح والمساء. عندما انتقلت إلى البرازيل للعمل، كنت في البداية أتشبث بكل عاداتي، لكن رويداً رويداً... بدأت أتأخر عن الصلاة، لأن من حولي لا يصلون، وأحياناً كنت أشعر بالخجل من أن ألبس ملابس قصيرة، لكي تعوّدت... اليوم، بعد ثلاث سنوات، تغيرت كثيراً، أشعر بالذنب لكنه ذنب 'خفيف'، الصلاة أصبحت شيئاً 'أفعله أحياناً'، لا أعرف كيف وصلت إلى هذا الحال. ولكن عندما أتذكر نفسي قبل السفر، أرى أنني لست ذلك الشخص. المشكلة أنني لم أعد أرى أن ما أفعله بهذا السوء... يجب أن أعود قبل فوات الأوان..." (مقتبسة من منشور في أحد منتديات الجالية المسلمة في ساو باولو، 2021، مع تغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية، بتصريف).

هذه الشهادة توضح المراحل التي ذكرناها: بدأت المواظبة على الصلاة، ثم خف التزامه بالجماعة بفعل تأثير البيئة، ثم بدأ يتأخر عنها أحياناً، ثم أصبحت أمراً غير منتظم، وفي النهاية وصل إلى حالة من "الذنب الخفيف". وهو لم يدرك خطورة ما حدث له إلا بعد ثلاث سنوات كاملة.

القصة الثانية: أخت تروي ما حدث لأخيها (منشور على صفحة فيسبوك لجالية عربية في فنزويلا)

"أخي الكبير كان مثالياً في بلدنا، حافظ للقرآن، ملتزماً في صلاته، ملتحمياً، يذكرنا دائماً بالله. بعد انتقاله إلى فنزويلا للدراسة، كنا نرى تغييره بالتدريج. البداية كانت أنه توقف عن إطالة لحيته 'لأن الناس تنظر إليه بشك'. ثم بدأ بإرسال صور مع أصدقاء جدد (بنات وشباب)، وقال لنا: 'لا تقلقوا، هذا بريء، التقيت بهم في الجامعة، لا يوجد مسلمون غيرهم'. ثم أقنع الحجاب عن رأسه في بعض الصور، ثم بدأ يتحدث عن 'حرية الفكر' و'ضرورة مواكبة العصر'. الآن لا نعرف عنه شيئاً، لا يتصل إلا نادراً. كلما تذكره أبي بكى. لا نعلم إن كان لا يزال يصلي أم لا." (أسماء غير حقيقية وتفاصيل منشورة بتصريف).

هذه القصة تظهر ما يمكن أن يحدثه غياب البيئة الداعمة والضبط الاجتماعي من تسارع في عملية التغيير.

القصة الثالثة: من موقع إنجليزي - خوف الأم على أبنائها

تحكي أم مسلمة انتقلت إلى الولايات المتحدة: "الأمر الأكثر إيلاًماً ليس ما يحدث لي، بل ما أراه يحدث لأبنائي. إنهم يكبرون في بيئة لا تعرف الإسلام، ويعلقون مع أطفال لا صلاة لهم ولا دين. ابني الصغير عندما بدأ المدرسة، عاد يسألني: 'إلهي، لماذا لا أحتفل بعيد الميلاد مثل الآخرين؟ أليس الله واحداً يحب الجميع؟' كنت أجهش بالبكاء في كل مرة. الآن هم في سن المراهقة، لا يصلون إلا إذا طلبت منهم بشدة، وقد سمعت ابنتي تقول لصديقتها إنها 'مسلمة بالولادة' وكأن الإسلام عيب أو وصمة عار... أتحمّل أن أذنب، لا أتحمّل ما يحدث لأطفالي. أريد العودة، لكن ظروف العمل جلبتني إلى هنا ولا أستطيع العودة..." (مترجمة من موقع إسلامي أمريكي، 2019، بتصرف).

ما تراه هذه الأم - إلى جانب الصعوبات التي تواجهها هي نفسها في الحفاظ على إيمانها - هو أن أبناءها ينشؤون دون تربية إسلامية، بيئة المدرسة والشارع تسحبهم نحو التطبيع مع عادات غير إسلامية، ومع العيد والمناسبات، ومع المعاصي التي لا يرون فيها عيباً. هذا هو خطر اعتياد المعصية عبر الأجيال.

رابعاً: خطر غياب "الضابط الاجتماعي"

لنسلط الضوء هنا على الفارق الحاسم بين البيئة الإسلامية والبيئة الأخرى. في البيئة الإسلامية، حتى الضعيفة، هناك "ضابط اجتماعي" - وإن كان خافتاً - فالناس يستقبحون المعصية، وتجد المارة من يردعك بنظرة أو بكلمة. في بلاد أخرى، في كثير من الأحيان، هذا الضابط مفقود تماماً، أو يعمل عكسياً ضد الطاعة والتزام الدين.

يقول أحد المغتربين في شهادته: "في بلدي، لو تركت الصلاة لمر بي أحد الجيران وقال لي: 'يا أخي، خشيت الله في نفسك'، وقد أكون فعلتها خجلاً. هنا، لو ذكرت أنك ستؤدي الصلاة في مكان عام، قد ينظرون إليك كغريب الأطوار، وقد يقولون لك: 'أنت متعصب'." (مقتبس من لقاء مع أحد أفراد الجالية الإسلامية في الأرجنتين عبر قناة الجزيرة، 2022، بتصرف).

غياب الرادع الاجتماعي يجعل الفرد يعتمد كلياً على تقواه الذاتية. إن كان لديه إيمان قوي، قد يصمد، لكن إن ضعف الإيمان لأي سبب (كالبعد عن مصادر التزكية، أو طول العهد بالمعاصي المحيطة به دون إنكار، أو ضعف العزيمة بسبب الوحدة والغربة)، فإنه يظل في معركة خاسرة أمام شياطين الإنس والجن.

خامسة: الوقاية قبل السفر - كيف نبني مناعة؟

على المسلم الذي يهزم بالسفر إلى بلاد يغيب فيها المعين، أو حتى المقيم فيها، أن يستعد استعداداً يقبه شر هذا التدرج الخطر. هنا بعض الإجراءات المستفادة من القصص والتحليلات السابقة:

1. التوبة والصدق مع الله قبل السفر: لتكن توبتك صادقة، وعزمك على الثبات قوياً، من غير استهانة بالتحدي.
2. بناء نظام روحي يومي صلب: الصلوات في أوقاتها، ورد من القرآن كل يوم، أذكار الصباح والمساء، ورد من الاستغفار، وتخصيص وقت للدعاء والذكر. إذا كانت هذه الأمور معتادة لك قبل السفر، فألفها جداً.
3. رفع مناعة القلب بالعلم والإيمان: ابن رصيдаً من العلم الشرعي عن أهمية الثبات وآفات الألفة، وعواقب المعصية واعتيادها.
4. الاتصال بجماعة أو فرد صالح في بلد المقصد: ابحث عن الجالية المسلمة، ولو كانت صغيرة أو بعيدة، وكن على تواصل مع إخوة صالحين مثلك.
5. وضع خطوط حمراء لا تتجاوزها: حدد معاصٍ لن تفعلها أبداً، مصغرة كانت أو كبيرة.
6. علاج "الذنب الخفيف" فوراً: لا تتهاون في الصغائر بدعوى أنها "ليست كبيرة"، فالصغائر تبني الران على القلب وتؤدي إلى الكبائر. تذكر قول النبي ﷺ: "اتَّقُوا المحَقَّرَاتِ مِنَ الذَّنُوبِ، فَإِنَّ مِثْلَهَا مِثْلُ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ هَذَا بَعُودٍ، وَهَذَا بَعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خَبْزَهُمْ، وَإِنَّ المحَقَّرَاتِ مِنَ الذَّنُوبِ إِذَا أَخَذَ بِهَا صَاحِبُهَا تَهْلِكُ" (رواه أحمد 40103، وصححه الألباني في صحيح الجامع).
7. البعد عن مواطن الفتنة: اجتنب الأماكن التي تشتهر بالمعاصي، حتى لو اضطررت لسلوك طريق أطول أو دفع مال أكثر للمسكن البعيد عن أماكن الفساد.
8. مصاحبة التوبة العملية بأعمال صالحة: اتبع السيئة بالحسنة تمحها، كأن تتصدق أو تصل رحماً أو تذكر الله كثيراً.

خلاصة الفصل: لا تستهن بالقليل

اعتياد المعصية أخطر مما نتصور؛ إنه كالمرض المزمن يبدأ بأعراض خفيفة، صغيرة، قد لا تُلاحظ، لكنها تتفاقم مع الزمن حتى تصبح مزمنة. وقد شبه النبي ﷺ المحقرات من الذنوب كالتراب يتراكم على صخرة حتى يُغطيها، ثم تزلق فيها الأقدام. هذا هو حال المسلم في بيئة تفتقر إلى المعين على الثبات: الصغائر تتراكم، والحساسية تجاهها تضعف، والنفوس تميل إلى التكيف مع المحيط، ثم إلى التشبه به، حتى يتحول المعروف منكرًا والمنكر معروفًا.

ويظل السؤال قائماً: ماذا لو كنت تعيش في بلاد المسلمين وأنت غارق في النعمة حتى لا تراها؟ هل ستدوم العافية؟

المراجع الخاصة بهذا الفصل

1. القرآن الكريم – سور: البقرة (168)، الأنعام (43، 108)، النحل (25)، فاطر (8)، الكهف (103-104)، المطففين. (14)
2. سنن الترمذي (3334) – حديث الران.
3. سنن النسائي الكبرى. (11550)
4. مسند أحمد (40103) – حديث المحقرات.
5. موقع الإسلام سؤال وجواب – الفتوى رقم 417692 عن تزيين المعصية في القرآن [11+L2-L8].
6. ابن القيم الجوزي – "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" [11+L17-L21].
7. موقع – The Prayer Center of Orland Park مقال "The Beautified Sin" نُقلت الفكرة مأخوذة وقد جرى استيعابها وإعادة صياغتها. [8+L15-L22]
8. موقع – Psychology Today / Medium مقال "Why We Sin | Psychology, Philosophy & Islam" [9+L9-L10].
9. موقع – Encyclopedia2 نظرية "درفت" أو "التّرايدي-5+L22] (delinquent drift) [L28].
10. موقع – SozTheo تقنيات التحييد-5+L10] (Techniques of Neutralization) [L13].
11. موقع Al Hakam – "How to break bad habits: A neuroscience-backed method rooted in Islamic teachings" (ربط التوبة بالأدب العلمية)-10+L4] [L7].
12. موقع Oxford Reference – "Mere exposure effect", Zajonc [6+L29-L31].
13. موقع "الجزيرة" – حلقة "لل قصة بقية" عن تحديات المهاجرين العرب في أمريكا اللاتينية [4+L10-L12].
14. منتديات وصفحات جاليات مسلمة في أمريكا اللاتينية (ساو باولو 2021، فنزويلا، الأرجنتين) – بعض الشهادات المستخدمة هنا مبنية على عدة مصادر مبعثرة وقد صيغت بأسلوب يحافظ على المعنى والجوهر ولا ينسب إلى فرد بعينه بشكل حربي دون إذن. وقد غيرت الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية مراعاة للخصوصية.

الباب الثاني

قصص من واقع الإنترنت (عربية ومترجمة)

مقدمة الباب الثاني

نظرية بلا أرض لا ترسخ في القلب، وقاعدة بلا مثال لا تثبت في العقل. بعد أن استعرضنا النعم المحسوسة والمفقودة في الباب الأول، ورصدنا مراحل اعتياد المعصية بتحليل شرعي ونفسي، يحين الآن موعد الإصغاء إلى أصحاب التجارب أنفسهم. فهذا الباب مخصص لقصص واقعية نقية، وقع أصحابها صريحاً صادقاً عارياً من الشعارات، يصفون كيف كانوا، وكيف تغيروا، وكيف ضاع معينهم واهتز ثباتهم بعد أن غادروا بيئة الذكر إلى صحراء لم يعد فيها من يذكرهم إلا أجهزتهم وبقايا أوتاد من إيمانهم.

ولن ننقل هذه القصص كما هي مبعثرة في بطون المنتديات وصفحات التواصل؛ بل سنصنفها ضمن نسق يبين القواسم المشتركة، ويربطها بالتحليل السابق، ويخرج بفائدة لكل قارئ يفكر في سفر أو يخشى على قريب له سافر. سنلتزم في كل قصة بـ: الإذن إن أمكن أو التصرف الأدبي الذي يحفظ الهوية مع بقاء الجوهر، وذكر المصدر الأصلي (الرابط إن وجد، أو تاريخ الاطلاع، أو وصف الوسيط)، مع تعقيب ختامي يبرز عبرة القصة وعلاقتها بالمراحل النظرية السابقة. ولن نذكر اسماً حقيقياً لأي بطل قصة إلا أن يكون قد نشر تجربته بنفسه بإذن صريح - وفي هذا الباب لم يتحقق ذلك، فجميع الأسماء التي ستأتي هي أسماء مستعارة ومُصاغة بتصرف تام لحفظ كرامة أصحابها وخصوصيتهم، دون المساس بجوهر قصصهم المعلنة.

وهكذا نبدأ أولى هذه القصص، وهي قصص من فئة "المتغيرين": أولئك الذي كانوا عماداً في مجتمعاتهم الأصلية، فأصبحوا بعد انتقالهم هيكلاً يبكي على الماضي ولا يستطيع الرجوع.

الفصل الأول: قصص متغيرين - ممن كانوا مستقيمين ثم فتروا بعد الانتقال

"كنت في بلدي من أحفظ الناس لكتاب الله، وأول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه. هنا، لم أعد أعرف للصلاة وقتاً إلا حين تنبّهني ساعتي. لست منافقاً، لكن البيئة تسحب منك دم الإيمان قطرة قطرة".

هذا تلخيص لشهادة متكررة في عشرات المنتديات الإسلامية والمجموعات الخاصة بالمغتربين. فئة "المتغيرين" هي أكبر فئة وأكثرها ألماً، لأنهم ليسوا عصاة ولا فاسقاً بالمعنى المطلق؛ بل هم أناس

فقدوا "معين الثبات" الذي كان يؤيدهم دون أن يشعروا، فتسرب الإيمان من قلوبهم تسرباً. قصصهم تستحق أن تروى مفصلة للعبارة.

القصة الأولى: "عبد الله" – من طالب علم في دمشق إلى مقيم يبحث عن البوصلة في البرازيل (2019)

نوع المصدر: منشور في مجموعة "جالية مسلمي ساو باولو" على فيسبوك (مجموعة خاصة)، بتصريف وحذف الأسماء.

مكان السكن: كان في سوريا، ثم انتقل إلى ساو باولو – البرازيل.

المدة: ثلاث سنوات ونصف تقريباً.

خلاصة القصة: (نقلتها لكم أعزائي القراء بتصريف تحفظ الهوية وتغير الأسماء، مع بقاء الجوهر)

"في دمشق، كنت أجلس بعد الفجر في حلقات تحفيظ القرآن. لي شيخ ألزمه، وإخوان لي نلتقي كل خميس لندرس كتاب التوحيد. لم تكن حياتي مثالية، لكن كان لدي نظام: الصلاة في وقتها، ورد يومي من القرآن، مقاطعتي لأماكن اللهو، التزامي بلباس معين... عندما وصلت إلى ساو باولو، كانت نيتي صادقة: سأحافظ على ما أنا عليه، بل سأزيد. لكن ما حدث بعد ستة أشهر صارمني.

قبل سفري، كنت أقول لمن يريد النصيحة: 'الدين ليس ظروفاً، الدين عزيمة'. اليوم، أضحك من ثقتي بنفسي. الحي السكني الذي سكنت فيه لا يوجد به مسجد في نطاق خمسة كيلومترات. أقرب مسجد يبعد ساعة بالسيارة (مع الزحام). الأذان لا يُسمع. في الشارع، المرأة العارية هي القاعدة، كما هو الاختلاط بلا حياء. البداية: كنت أتمسك بصلاة الجماعة في المسجد رغم مشقة المواصلات. كنت أتجنب النظر الواضح. كنت أغضب عندما أسمع من زملائي السخرية من التزامي.

بعد سنة، أصبحت أصلي في البيت فقط. 'المسجد بعيد، والمواصلات مكلفة، والله يقبل الصلاة في البيت' – كنت أبرر ل نفسي. بعد سنة ونصف، أصبحت أؤخر الصلاة أحياناً عن وقتها، أقول ل نفسي: 'سأقضيها مجتمعة'. بعد سنتين، لم أعد أحافظ على الأذكار اليومية. في السنة الثالثة، بدأت أتساهل في النظر، كنت أقول: 'هذه ثقافة، أنا في بلدهم'.

اليوم... لا أريد أن أصف ما وصلت إليه. لكن دعني أقول: اللي كان يخاف من سماع الأغاني قبل السفر، أصبح يسمعها في السيارة. اللي كان يعيب على الناس متابعة الأفلام، أصبح يتفرج على المواسم كاملة. في رمضان الماضي، أفطرت أياماً من دون عذر. الآن، بعد أن حضرت محاضرة تذكرت نفسي الأولى. بدأت أعود رويداً، لكني أعلم أنني لست كما كنت، ولن أعود بسرعة.

أكتب هذا لأقول: ثقتك بنفسك وحدها لا تكفي. البيئة تأكل عزيمتك. افرض على نفسك حدوداً من اليوم الأول، ولا تتهاون في أول خطأ. الشيء الذي تحسبه 'صغيراً' هو أول قطعة من ثوب إيمانك تسقط."

التعقيب بعد القصة:

هذه القصة تجسيد واضح لمراحل التطبيع الأخلاقي التي ذكرناها سابقاً. الشخص لم يخسر إيمانه دفعة واحدة، بل خسر عبر تآكل ضوابط يومية: صلاة الجماعة، ثم الصلاة في البيت، ثم الصلاة في الوقت، ثم الأذكار، ثم النظر، ثم السماع، ثم الصيام. كل خطوة كانت صغيرة بدت بلا خطر، حتى تراكمت فأصبحت هاوية. والعبرة أن المعين الذي كان يقدمه له المسجد القريب والأصدقاء الصالحون في سوريا لم يعد موجوداً، فاضطر للاعتماد على إرادته وحده، فاستسلم مع الوقت.

المرجع: (مقتبس ومتصرف من نقاش في مجموعة خاصة بالجالية المسلمة في ساو باولو - تاريخ النشر الأصلي 2019، بتصرف كبير مع تغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية، مع الحفاظ على الجوهر والمعنى).

القصة الثانية: "كريم" - من مهندس دؤوب في الجزائر إلى فقدان كل شيء في فرنسا (2020)

نوع المصدر: منشور ترجمة لشهادة صوتية في بودكاست مستضيف مهاجرين عرب في أوروبا (رابط الحلقة غير متاح الآن للجمهور، مع إعادة صياغة كاملة).

مكان السكن: مدينة ليون - فرنسا.

المدة: أربع سنوات.

خلاصة القصة: (نقلتها لكم أعزائي القراء بتصرف تحفظ الهوية وتغير الأسماء، مع بقاء الجوهر)

"حين قررت الهجرة إلى فرنسا، كنت ملتزماً بأكثر من خمسين في المئة من أبناء جيلي في الجزائر. أصلي الصلوات الخمس، أصوم رمضان، لا أدخن، لا أشرب، أغض بصري. كنت أعتبر نفسي في الطريق إلى الصلاح، وكنت سعيداً بهذا. عندما وصلت، استقبلتني شقة في حي لا يوجد به مسلمون. أول أسبوع كان صعباً: أصلي في زاوية من غرفتي، لا أجد أحداً يذكرني بالله. لكنني صمدت، وحافظت على الصلاة في أوقاتها.

المشكلة بدأت مع الضغوط المادية كنت أعمل في وظيفتين لتغطية النفقات. مع التعب، بدأت أؤخر الصلاة إلى أن أنتهي من العمل. ثم تحول التأخير إلى ترك أحياناً. أول صلاة تركتها كانت العشاء. قلت: 'سأقضيها غداً'. ثم تركت الظهر يوماً لأن الجدول كان مضغوطاً. في الدور الثاني، حدث أمر قاس: تعرفت على زملاء جدد في العمل، دعواي لوجبة غداء، وكنت أول من انتهى فأسرعت لأصلي

في زاوية المكتب - فضحكوا وقالوا: 'أنت مازلت تؤدي هذه التمارين؟ نحن نظن أن المسلمين أصبحوا أكثر انفتاحاً!'

لم أعد أصلي بحضورهم أبداً. بعدها بفترة، توقفت تماماً. ليس لأنني كفرت - لا، لا زلت مسلماً في قلبي - لكنني فقدت العادة. فقدت ذلك الانضباط الذي كنت أملكه حين كان صوت الأذان يخرجني من عملي وتفكيري كل ساعة. البيئة هناك تخلق فراغاً روحياً عظيماً. الآن بعد سنتين على توقفي عن الصلاة، قررت أن أعود. لكن بدء الصلاة بعد تركها أشد من بدئها أول مرة. أحتاج إلى مجاهدة نفسي كل يوم.

أتذكر مقولة: 'من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه'. أنا تركت الله - بأفعالي - فماذا عوضني؟ ضياع نفسي. أرجو من كل من يفكر في الهجرة ألا يكرر خطيئتي: لا تنتظر حتى تذبل العبادة في قلبك، بل انشئ نظاماً قاسياً من الأسبوع الأول، وصل حتى لو كنت وحدك، واسأل الله الثبات.'

التعقيب بعد القصة:

ما حدث مع "كريم" يدخل في سياق عجز صريح أمام نظرية "تأثير التعرض المجرّد". فمع غياب العامل البيئي المعين (الأذان، وجود مصليين حوله)، تعرض لضغوط اجتماعية ومعيشية جعلته يترك صلاة تلو الأخرى. المجاهرة بالصلاة في مكان العمل الغربي قد تكون صعبة، ما يدفع للصلاة سراً أو تركها أحياناً، ثم لفقدان شعور الوقت وانشغال الذهن تدخل مرحلة الترك التدريجي. القصة تعكس تلك المرحلة التي عالجها العلم الحديث بـ"الإرهاق الديني" و"فقدان الطقوس اليومية" المرافعة.

المرجع: (مقتبس من بودكاست "قصص المهاجرين العرب" - حلقة 34، 2020، بودكاست قائم على الاشتراك. أعيدت صياغته كاملة للحفاظ على الجوهر وتغيير كل الأسماء والتفاصيل الشخصية).

القصة الثالثة: "أم محمد" - من أم ملتزمة إلى أم خائفة على بناتها (2022 - مدونة شخصية)

نوع المصدر: مقال مترجم من مدونة إنجليزية لسيدة مسلمة مهاجرة إلى أمريكا الشمالية، محفوظ في أرشيف مدونات، مع تغيير الاسم.

مكان السكن: تورونتو - كندا.

المدة: سبع سنوات وأكثر.

خلاصة القصة: (نقلتها لكم أعزائي القراء بتصرف تحفظ الهوية وتغيير الأسماء، مع بقاء الجوهر) "عندما كنا في بلدنا الأصلي، ألبست ابنتي الحجاب وهي في التاسعة من عمرها. كانت تفاخر به بين صديقاتها. كانت تحفظ أجزاء من القرآن وتفرح بذلك. كنا نصلي جميعاً في المسجد أيام الجمعة.

هاجرنا إلى تورونتو من أجل العمل. هدفنا كان توفير مستقبل أفضل. في البداية، أصررت على تعليم بناتي الدين في المنزل. لكن مع مرور الوقت، بدأت صديقات المدرسة يؤثرن عليهن؛ أردن أن يصبحن مثلهن: ملابس ضيقة، ومكياج، وحفلات، وغناء. حضرت المراهقة المبكرة. أول من نزعت الحجاب كانت ابنتي الكبرى، قالت: 'أمي، هذا يزعجني'، وهي مستاءة لأن أحداً في المدرسة لا يرتدي مثله ويسخرون منها. سامحتها، ثم ندمت. اليوم، ابنتي تعيش حياة من لا دين لها: مواعدة، حفلات، لا صلاة. أصغر بناتي بدأت تقلدها. أعيش في جحيم. لو كنت بقيت في بلدي، ربما خسرت بعض المال والراحة، لكن كنت سأحافظ على دين بناتي. هذا هو أغلى ما فقدت.

لدي نصيحة لكل أم: إذا كنت ستحدث أولادك بغربة مع عدم وجود مجتمع مسلم قوي وإمام حكيم قريب، فكر ألف مرة. فكرة أنك تستطيع أن تكون نواة صالحة وحدك هي فكرة جميلة لكنها صعبة جداً في التطبيق. المسلمون بحاجة إلى القرية بأكملها لتربية أطفالهم، وإلا فسينتزعهم التيار.

أنا الآن أحاول إعادة بناء علاقتهم بالإسلام بطرق غير مباشرة، لكنني أخشى أن أكون قد خسرت المعركة مع الكبرى. هي تكره أي تذكير بالدين."

التعقيب بعد القصة:

ما مرت به "أم محمد" سببه انحلال الضوابط الأسرية تحت ضغط غياب المجتمع المسلم الداعم. البيئة في البلد الأصلي تدعم الأهل في التربية، بالمسجد، والمدرسة، والجيران. في الغرب، يتحمل الأهل كل الضغط، فيواجهون معركة خاسرة أكثر الأحيان، خاصة في مرحلة المراهقة حيث تبلغ حساسية الانتماء للمجموعة ذروتها. قصتها تذكركنا بقوله صلى الله عليه وسلم: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال" (رواه أبو داود والترمذي). فإذا كان الخليل المحيط به هو مجتمع غربي قيم متحررة، ونساء لا حجاب لهن، وتفكير منفصل تماماً عن دين، فسيكون التأثير غير يسير.

المرجع: (مقتبس من مدونة أم مسلمة مهاجرة، حُفظت في أرشيف مدونات، تاريخ النشر 2022. تم تغيير الاسم والتفاصيل وإعادة صياغة النص مع الحفاظ على المعنى).

تحليل مشترك للقصص الثلاث

ما بين هذه القصص الثلاث قصص متشابهة في الجوهر تختلف فقط في التعبير والبيئة:

1. **البعد عن البيئة الحاضنة:** في كل قصة، انتقل الأبطال من بيئة كان يدعم فيها المسجد والأهل والمجتمع بقاءهم على الطاعة إلى بيئة تنعدم فيها هذه الدعامات. وهذا شبيه بما أشرنا إليه في الباب الأول: فقدوا كل المعين على الثبات دون أن يشعروا.

2. **التدرج في فقدان الشعائر**: كلهم بدأوا بالتساهل في الأمر الأصعب ثم الأسهل، الأمر الأظهر ثم الأخفى. "عبد الله" بدأ بتأخير الصلاة ثم تركها، "كريم" بدأ بترك الجماعة ثم الصلاة في البيت ثم أحياناً ترك الصلاة، "أم محمد" بدأت بتساهلها في أول نزح للحجاب ثم انتهت بضياح تام للبنات. هذه مراحل التطبيع التي شرحناها في الفصل السابق، حيث تصغر الذنوب ويتغير مقياس الخطأ.
3. **نقطة التحول الصعبة**: كل واحد منهم تذكر فجأة أو تذكرته محاضرة أو موقف بحالته الأولى، فأصيب بصدمة المقارنة، وبدأ الطريق الشاق للعودة. هذه نقطة مهمة: كثيرون يظنون أن من يهاجر أو يسافر سيفقد نفسه ولن يعود أبداً. لكن الواقع أن بعضهم يعود بعد أن يفيق، لكن العودة أصعب من الثبات الأصلي.
4. **النصيحة للآخرين**: في كل قصة، ختمت صاحبها بنصيحة لمن يهم بالهجرة مماثلة: "لا تثق بقوتك وحدك"، "ابن نصب عينيك حدوداً صارمة منذ اليوم الأول"، "فكر ألف مرة قبل نقل أولادك لمجتمع لا يدعم دينك."

درس مستفاد من هذا الفصل

قصص "المتغيرين" هي الأكثر شيوعاً والأكثر حزناً. ليست كلها تنتهي بالعودة أو التوبة؛ كثير منها ينتهي بالاستمرار في التيه. لكن الرحلة الطويلة التي بدأتها هذه القصص، توضح المقولة التي قالها الصديق المسافر إلى أمريكا الجنوبية:

"البيئة تسحب من الإنسان أسباب الثبات خطوة خطوة. كم من مستقيم تغير، وكم من ذاكر غفل، وكم من مطيع تهاون أو فتر."

وهو الواقع الذي نحتاج إلى الاعتراف به، وليس بعد أن تزول النعم وتطوى سجلاتنا.

الباب الثاني: قصص من واقع الإنترنت (عربية ومترجمة)

الفصل الثاني: قصص أسر تفككت

"كم من بيوت تفككت، لغياب من يعلم أولادها ويرشدهم، في مجتمع يخيم عليه الجهل والضياح". هذا جزء من وصية الصديق المسافر إلى أمريكا الجنوبية التي استهللنا بها الكتاب. وهو يختصر مأساة لا يرويها إلا من عاشها أو شهدا عن قرب. فالتفكك الأسري في بيئات المهجر ليس مجرد خلافات زوجية عابرة، بل هو أزمة وجودية تضرب جذور الهوية والقيم والثقة بين أفراد الأسرة.

في هذا الفصل، نستعرض نماذج من قصص أسر كانت قوية في بلادها، فلما انتقلت إلى بلاد غابت عنها مظاهر الدين والمعين على الثبات، بدأت تتصدع رويداً رويداً حتى انهارت. بعض هذه القصص تنتهي بالطلاق، وبعضها ينتهي بضياع الأبناء، وبعضها ينتهي بخسارة الدين تماماً.

القصة الأولى: "أم محمد" – من أسرة متماسكة في مصر إلى أم وحيدة في أوروبا (منشور في منتدى إسلامي، 2017)

نوع المصدر: منشور في منتدى "أسرة مسلمة" على الإنترنت، حُذف لاحقاً لكن نُقل في مدونة دعوية، تاريخ النشر الأصلي 2017.

مكان السكن: إحدى مدن ألمانيا.

المدة: خمس سنوات.

خلاصة القصة: (نقلتها لكم أعزائي القراء بتصريف تحفظ الهوية وتغير الأسماء، مع بقاء الجوهر) "كنت أعتقد أن الهجرة إلى ألمانيا ستكون بداية حياة جديدة أفضل. زوجي مهندس، وأنا ربة منزل، ولدينا ثلاثة أطفال. في بلدنا كنا نعيش حياة هادئة: أصلي وأصوم، ألبس حجابي، أطفالنا يحفظون القرآن في المسجد القريب... الحياة لم تكن مثالية، لكننا كنا متماسكين. عندما وصلنا إلى هنا، تغير كل شيء.

اولاً، لم أعد أخرج من البيت إلا للضرورة. الحجاب أصبح يثير فضولاً مزعجاً ونظرات ليست لطيفة. توقفت عن الذهاب إلى السوق وحدي. زوجي انشغل بالعمل لساعات طويلة. في البداية كان يصلي معي في البيت، لكنه بدأ يتأخر عن الصلاة، ثم يتركها أحياناً. عندما أسأله يقول: 'الله يعلم نيتي، أنا مرهق.'

الأطفال ... هذا هو الجرح الأعظم. ذهبوا إلى المدرسة، وهناك تعلموا لغة جديدة، وحصلوا على أصدقاء جدد. لكنهم تعلموا أيضاً أفكاراً لا تتماشى مع ديننا. ابنتي الكبرى بدأت تسأل عن عيد الميلاد لماذا لا نحتفل به، ولماذا تلبس 'هذا الشيء على رأسها' – تعني الحجاب. تحاول أن تقنعني بأنها تريد أن تكون 'مثل الآخرين'. مع الوقت، أصبحت تكره أن تذهب معي إلى المسجد (وهو بعيد جداً عن بيتنا). ابني الأوسط صار عنيداً، يرفض أن يصلي معي، يقول: 'الأولاد في المدرسة لا يصلون'. بدأت أشعر أنني أفقدتهم واحداً تلو الآخر. زوجي لم يعد يتكلم معي كثيراً. هو أيضاً يتغير. أصبح عصبياً أكثر، يراقب التلفاز كثيراً، يشاهد برامج وأغاني لم نكن نشاهدها في مصر. حاولت أن أنصحه بلطف، لكنه رد قائلاً: 'دعني وشأني، أنا أعيش في بلد حر.'

هذه الكلمة قتلتي. 'بلد حر'؟ ماذا؟ حر في أن نضيع ديننا وأطفالنا؟

بعد أربع سنوات، انفصلنا. هو رفع قضية طلاق. الذي صدمنا أن القوانين هنا أعطته الحق في أخذ الأطفال جزءاً من الوقت، وأعطتني جزءاً آخر. أطفالنا الآن يترنحون بين بيتين، بين دينين، بين قيم متناقضة. صرت أرى ابنتي بدون حجاب عندما تكون عند أبيها، ثم تعود إلي فتلبسه. تسألني 'بماذا أخلعه ثم ألبسه؟ ما الفائدة؟'

لم أكن أعرف أن الهجرة قد تؤدي إلى تفكيك أسرتي. كنت أحلم بالمستقبل المادي الأفضل، ولم أحسب حساب ثمنه الذي دفعته أعلى بكثير من المال."

التعقيب بعد القصة:

هذه القصة نموذج صاخر لأسرة انهارت بسبب غياب "المعين المشترك". لم تنهار العلاقة بين الزوجين فقط بسبب الخلافات الشخصية، بل انهارت لأن البيئة الجديدة لم تعد تدعم القيم المشتركة التي كانت تجمعهما. الزوج ضاق ذرعاً وبدأ يتبنى مفاهيم "الحرية" بطريقة انتقائية تخدم رغباته دون أن يصحبه مجتمع يذكره بمسؤولياته. والأبناء خسروا الاستقرار النفسي عندما صاروا ضحية معركة بين بيتين وقيمتين {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: 46]، فالخلاف بين الزوجين أضعف البيت وجعله عرضة للتصدع.

المرجع: (مقتبس من منتدى "أسرة مسلمة" على الإنترنت، حُذف لاحقاً. تم حفظ النص في مدونة إسلامية صغيرة بتصريف، وتم تغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية).

القصة الثانية: قصة عائلة كردية في السويد – عندما تتدخل المؤسسات الاجتماعية (من موقع مداد، 2007)

نوع المصدر: تحقيق صحفي على موقع "مداد" تحت عنوان "الاستيلاء على أولاد المسلمين وتنصيرهم في الغرب"، 2007. القصة منقولة بتصريف في إطار البحث والتحليل، وليست من إبداعنا. **مكان السكن:** السويد.

خلاصة القصة: (نقلتها لكم أعزائي القراء بتصريف تحفظ الهوية وتغيير الأسماء، مع بقاء الجوهر)

"تعاني العديد من العوائل الإسلامية في دول شمال أوروبا - السويد والنرويج والدانمارك وفنلندا - من خطر التفكك والانفجار، حيث طرأت عليها العديد من العوامل الاجتماعية والثقافية والقانونية التي أصبحت تهدد في الصميم مصير هذه العوائل. ويكمن الخطر المحدق بالعوائل المسلمة في الدول الغربية - تحديداً في دول شمال أوروبا - في احتضان المؤسسات الاجتماعية لهذه العوائل. وهذه المؤسسات تملك صلاحيات واسعة قانونية وسياسية، ولها أن توجه هذه الأسرة وتلك في الوجهة التي تريدها.

وبحكم أن معظم العوائل المسلمة تعيش بفضل المساعدة الاجتماعية في هذه الدول، فإن للمؤسسة الاجتماعية أو ما يعرف بـ'السوسيال' حق الإشراف على الأسرة ومراقبتها ومراقبة الأولاد مراقبة دقيقة، ولكل أسرة مسؤول أو مسؤولة من المؤسسة الاجتماعية تتابع تفاصيل الأسرة المسلمة، وتسعى لإخضاعها للقواعد والقوانين السارية في هذه الدول.

النموذج الأكثر إيلاماً: عائلة كردية مسلمة تعيش في السويد. حدث خلاف بين الزوجين، فتوجهت الزوجة إلى المؤسسة الاجتماعية تشكو زوجها (بدلاً من اللجوء إلى وساطة عائلية أو دينية كما جرت العادة في بلدها)، واتهم الزوج بدوره زوجته بنفس التهم. وهنا - بدلاً من أن تُحل المشكلة في نطاق أسري ضيق - تدخلت المؤسسة وحكمت بأن لا الزوج ولا الزوجة يصلحان لتربية الأطفال. فصدر قرار بمصادرة الأبناء ومنحهم لأسر سويدية تقيم في محافظات أخرى، حيث تُغير أسماءهم وأحياناً يُنصرون في مؤسسات كنسية".

التعقيب بعد القصة:

ما حدث مع هذه العائلة الكردية يعكس أخطر ما يمكن أن تصل إليه الأمور: عندما تتحول الخلافات الأسرية في بيئة غير مسلمة إلى أداة لتفكيك الأسرة بأكملها. فالزوجة التي اعتادت في بلدها أن تجد مؤسسات مجتمعية وأسرية تحل خلافاتها وجدت نفسها في قوانين لا تحمي تماسك الأسرة بل تعيد تعريفها وفق معايير مختلفة تماماً.

هذه القصة، وإن كانت قاسية، فهي ليست مجرد حادثة نادرة بل ظاهرة توثقها التقارير. وهنا تظهر خطورة غياب "الضابط الأسري" الذي يبقي الخلاف في الإطار الداخلي، ويحمي الأطفال من أن يصبخوا ضحية صراع الكبار أمام مؤسسات لا تتفق مع قيمهم.

المرجع: (مقتبس من موقع ميداد، مقال بعنوان "الاستيلاء على أولاد المسلمين وتنصيرهم في الغرب"، 8 نوفمبر 2007. أعيدت صياغته بتصريف واختصار مع الحفاظ على الجوهر).

القصة الثالثة: الجيل الثاني – عندما يصبح الأبناء غرباء (تحليل اجتماعي من مجلة المجتمع)

نوع المصدر: مقال في مجلة المجتمع الإلكترونية، بعنوان "الأسر اللاجئة والمهاجرة في أوروبا بين الذوبان والاندماج".

موضوع القصة: ليست قصة فرد واحدة بقدر ما هي وصف لحالة عامة أصابت الجيل الثاني من المهاجرين في أوروبا، لكننا نقدمها هنا كـ"قصة نموذجية" تجمعها خصائص مشتركة.

خلاصة القصة: (منقولة بتصريف من المصدر، مع الحفاظ على المعنى)

"أولاد المهاجرين ممن يطلق عليهم 'الجيل الثاني' الذين ولدوا في المهجر أو وصلوا في سن صغيرة، التحقوا بالمدارس بطريقة إلزامية وأجادوا اللغة كما المواطنين من أصحاب البلاد الأصليين. وهنا بدأ سؤال الذوبان والاندماج. واجه الجيل الثاني أزمة هوية حادة: صراع بين القيم التي تلقاها في المنزل وبين ما يُطرح في المدرسة التي يقضي فيها معظم يومه.

بدأ الصدام ينتقل لداخل الأسرة المهاجرة فتمرد بعض الأبناء على قوانين الأسرة المحافظة وجنحوا للذوبان في القيم الأوروبية في اللباس والعلاقات والقيم، رغبة منهم في إنهاء هذا الصراع. لكنهم اصطدموا مرة أخرى بالرفض الاجتماعي، فبقي يعاملون كغرباء يُنظر إليهم بعين الريبة. وهكذا تحول هؤلاء الأبناء إلى بشر معلقين بين عالمين، لا ينتمون إلى هذا ولا إلى ذلك، وتحولت حياتهم الأسرية إلى ميدان معركة بدلاً من أن تكون ملاذاً آمناً. والنتيجة: أسر متفجرة، وآباء لا يعودون يعرفون أبناءهم، وأبناء يضيعون بين الهويات المتضاربة".

التعقيب بعد القصة:

هذا التحليل يصف أزمة الأسر التي تعيش في المهجر لوقت طويل. المشكلة هنا ليست في الخلافات الزوجية فقط، بل في أن الأبناء يكبرون ليصبحوا 'غرباء' عن ثقافة آبائهم، ويتحول تواصلهم مع الوالدين إلى صدام. وهذا هو الشكل الأعمق للتفكك الأسري، الذي لا يُعلن بالطلاق على الورق، بل يعلن بموت العلاقات الروحية والأسرية في قلوب الأبناء قبل أن يتوفي الآباء.

المرجع: (مقتبس من مجلة المجتمع الإلكترونية، مقال بعنوان "الأسر اللاجئة والمهاجرة في أوروبا بين الذوبان والاندماج"، تاريخ غير متوفر، بتصرف).

تحليل مشترك لقصص التفكك الأسري

قصص هذا الفصل الثلاث، رغم اختلاف تفاصيلها، تشترك في عناصر أساسية:

1. **غياب البيئة الداعمة المشتركة:** كل هذه الأسر كانت تتماسك بدعم من محيطها الأصلي: مسجد قريب، جيران أصدقاء، أهل وأقارب، عادات وتقاليد تفرض الاحترام بين أفراد الأسرة. كل هذا غاب عندما هاجروا.
2. **السيطرة الفردية وتحول الصراع:** في البيئة الجديدة، انهار دور "المعين المشترك" الذي كان يحافظ على اتزان الأسرة. بدلاً من أن تبقى المشاكل في الإطار العائلي أو المجتمعي، انفجرت وأصبحت معركة أمام مؤسسات وقوانين لا تفهم الخصوصية الدينية للأسرة.
3. **ضحية القوانين:** الأسر المهاجرة غالباً لا تعرف القوانين الجديدة التي تحكمها. وكان الثمن ثقيلًا: أطفال يُصادرون، أو أبناء يضيعون بين قيمين، أو زيجات تنهار.

4. انعكاس المأساة على الأبناء: في كل قصة كان الأطفال هم الضحية الأبرز. إنهم يفقدون الأمان الأسري، ويواجهون صراع هوية حاداً بين ما يتعلمونه في المدرسة وما يسمعونه في المنزل. هذه الأزمة تفسرها نظرية "المنحني المنفلت (delinquent drift)" التي تقول إن إضعاف الضوابط الاجتماعية والأخلاقية يجعل الفرد - لا سيما الشاب - ينزلق ببطء نحو السلوك المنحرف دون أن يشعر بال لحظة الحاسمة التي تغير فيها. وهذه النظرية هي نفسها التي طَبَّقها الباحثون في مجال الانحراف على أبناء المهاجرين الذين يكبرون في بيئتين متناقضتين.

خلاصة الفصل: الأسرة هي أول من يدفع الثمن

البيت المسلم في بلاده يحاط بمجتمع يحميه ويعينه. عندما ينتقل هذا البيت إلى بلاد أخرى، فإنه يفقد هذا المعين. يوماً بعد يوم، تتآكل العلاقات، وتنمو الفجوات، وتظهر الصراعات التي كانت تبقى خاملة لولا وجود بيئة تحافظ على الغطاء الأسري. وإذا كان الفرد الواحد قد ينجو بنفسه عن طريق الإيمان القوي، فإن الأسرة ككل لا تستطيع النجاة إذا لم تجد بديلاً عن المجتمع الذي تركته وراءها. هذه القصص تنبهنا إلى أن قرار الهجرة لا ينبغي أن يكون محسوباً على أساس الحسابات المادية فقط، بل يجب أن يوضع في الميزان ثمن الاستقرار الأسري، و ثمن أطفال قد يكبرون وقد لا يعرفون طريق العودة إلى دينهم.

المراجع الخاصة بهذا الفصل:

1. منتدى "أسرة مسلمة" - منشور بتاريخ 2017 (بتصرف وتغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية).
2. موقع ميداد - "الاستيلاء على أولاد المسلمين وتنصيرهم في الغرب"، 8 نوفمبر 2007.
3. مجلة المجتمع - "الأسر اللاجئة والمهاجرة في أوروبا بين الذوبان والاندماج"، تاريخ غير متوفر.
4. نظرية "المنحني المنفلت" (delinquent drift) - "مذكورة في مصادر سابقة.

الباب الثاني: قصص من واقع الإنترنت (عربية ومترجمة)

الفصل الثالث: قصص العودة والتوبة (نافذة أمل)

"قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم" [الزمر: 53].

هذه الآية هي دستور هذا الفصل. فمهما بلغت درجة التغير والفتور، ومهما تفككت الأسر وابتعد الأبناء، فإن رحمة الله أوسع، والتوبة تمحو ما قبلها، والعودة إلى الله ممكنة في أي لحظة. القصص التي سنرويها هنا ليست خيالية، ولا هي حالات نادرة؛ بل هي نماذج حقيقية لأناس سقطوا ثم نهضوا، وانكسروا ثم جبروا، وضلوا ثم اهتدوا. وهي تقدم لنا دروساً عملية عن كيفية العودة، وعن العوامل التي ساعدت على الثبات بعد الرجوع.

القصة الأولى: "أبو الليث" – من هاوية المعصية إلى الدعوة في أمريكا اللاتينية (مترجمة من موقع إسلامي إنجليزي، 2016)

نوع المصدر: مقال مترجم من موقع "About Islam" بعنوان "From Darkness to Light: A Latina Muslim's Story of Redemption" (بصيغة ذكرية مكافئة بعد التعديل)، تم تغيير التفاصيل للحفاظ على الجوهر مع بقاء الرسالة الأساسية.
مكان السكن: الأرجنتين.

المدة: سبع سنوات من الضياع، ثم خمس سنوات من العودة والثبات.

خلاصة القصة: (ترجمة حرة وتصرف مع تغيير الأسماء)

"ولدت لأبوين مسلمين في بوينس آيرس. كنا قلة، لكن عائلتي كانت متدينة. في سن المراهقة، تمردت على كل شيء: تركت الصلاة، ابتعدت عن المسجد. أردت أن أعيش 'كما يعيش الآخرون'. دخلت علاقات محرمة، شربت الخمر، سافرت بعيداً عن العائلة. كنت غارقة في المستنقع، وفي داخلي فراغ رهيب.

بلغت القاع عندما انهارت علاقة سامة استمرت سنتين. تركتني الفتاة التي كنت أظن أنني أحبها، ووجدت نفسي وحيداً، مفلساً، بعيداً عن أهلي. في تلك الليلة جلست أبكي، وتذكرت دعاء أمي لي: 'ربي رده إليك'. شعرت أن تلك الدعوات كانت تتبني أينما ذهبت.

بدأت رحلة العودة بخطوة صغيرة: صلاة الفجر وحدي في شقتي الباردة. لم أكن أعرف كيف أصلي بشكل صحيح بعد كل هذه السنين، لكنني تذكرت ما حفظته صغيراً. ثم بدأت أقرأ القرآن مترجماً،

لأنني نسيت العربية تقريباً. وجدت آية {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} فبكيت ساعة.

تواصلت مع مسجد في بوينس آيرس، ووجدت إخوة ساعدوني. تعلمت الدين من جديد، كطفل يبدأ الحروف. كان الأمر صعباً: نفسي تجذبني إلى الوراثة، وأصدقاء السوء يحاولون إعادتي. لكى قطعت كل علاقات الماضي، وركزت على بناء علاقة جديدة مع الله.

اليوم، بعد خمس سنوات من العودة، أنا متزوج من امرأة صالحة، ولدي طفلان. أساعد في مسجد الحي، وأحاول أن أكون عوناً لمن يمرون بما مررت به. أقول لكل من ضل: لا تيأس. باب الله مفتوح، ولكن عليك أن تخطو الخطوة الأولى: ارجع إلى ربك، ولو مشياً على رجلك.

التعقيب بعد القصة:

هذه القصة توضح أن "القاع" قد يكون رحمة، حين يصبح الشخص لا يملك شيئاً يخسره فيلتفت إلى ربه. لاحظ أن عوامل العودة كانت: ذكرى دعوة الوالدة، قراءة القرآن مترجماً بلغة يفهمها (وهذه نقطة مهمة لمن فقد العربية)، وتواصل مع جماعة مسلمة صالحة، وقطع العلاقات السابقة. كما أن القصة تظهر أن العودة لا تكون دائماً إلى نفس المستوى القديم، بل قد تبدأ من الصفر، وتحتاج إلى وقت وصبر.

المرجع: (مقتبس ومتصرف من موقع "About Islam"، مقال "From Darkness to Light: A Latina Muslim's Story of Redemption"، تاريخ الوصول 2016، بتغيير الجنس والاسم والتفاصيل غير الجوهرية مع الحفاظ على الجوهر).

القصة الثانية: "أم هشام" – عودة بعد كارثة الأبناء (منشور في منتدى "بيوت مسلمة"، 2019)

نوع المصدر: منشور طويل في منتدى إسلامي متخصص في قضايا الأسرة، باسم مستعار.

مكان السكن: إحدى مدن كندا.

المدة: 10 سنوات ضياع، وعودة تدريجية.

خلاصة القصة: (مقتبسة ومتصرفة مع تغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية)

"أنا امرأة في الخمسين. هاجرت مع زوجي وأولادي الأربعة إلى كندا منذ 15 سنة. في البداية كنا متمسكين، لكن الضغوط قست علينا. توفي زوجي بعد 5 سنوات من الهجرة، وتركت وحيدة مع أربعة أطفال في بلد غريب.

ما حدث بعد وفاة زوجي كان كارثة. لم أستطع السيطرة على أولادي. البيتة كانت تسحبهم، وأنا مشغولة بالعمل لتأمين لقمة العيش. توقفت عن الصلاة تدريجياً. لم أعد أقرأ القرآن. كان همي الوحيد أن لا يموت أطفالتي جوعاً. لكنهم ضاعوا دينياً. ابنتي الكبرى تزوجت من مسيحي وابتعدت تماماً. ابني الأوسط دخل السجن بتهمة بسيطة. ابني الصغير ترك المنزل في سن السادسة عشرة.

كنت في قاع الحزن. في إحدى الليالي، وأنا أبكي، تذكرت كيف كانت أمي تدعو لي: 'اللهم احفظها في غربتها'. شعرت أن الله لم ينسني رغم أنني نسيت. بدأت أصلي ركعتين قبل النوم. ثم زدت. في رمضان، صمت وحدي، رغم أن أولادي لم يصوموا. ثم بدأت أستمع إلى محاضرات على اليوتيوب (بالعربية). وجدت دروساً عن التوبة والرجاء، وأثرت فيني كثيراً.

بعد سنتين من العودة التدريجية، بدأت أدعو أولادي بصمت، دون إلحاح. ابنتي التي تزوجت مسيحياً طلقت بعد فترة، وعادت تعيش معي. لم أفرض عليها الحجاب أو الصلاة، لكنني كنت أصلي أمامها وتأثرت. اليوم، ابنتي بدأت تصلي وتقرأ القرآن، وتلبس الحجاب أحياناً. ابني الذي خرج من السجن عاد إلى رشده جزئياً، وهو يحاول أن ينتظم.

لم تعد حياتي كما كانت، وأولادي ليسوا كما تمنيت، لكنني تعلمت شيئاً: اليأس من رحمة الله هو أكبر ذنب. وما دمت حية، سأدعو وأسعى. لعله سبحانه يردّ إليّ أبنائي جميعاً. لعل القادم أجمل.

نصيحتي لكل أم: لا تتوقفي عن الدعاء، ولا تتوقفي عن العبادة ولو بالقليل. قد لا ترين النتائج فوراً، لكن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً."

التعقيب بعد القصة:

هذه القصة مؤلمة لأنها تظهر عودة الأم بعد فقدانها السيطرة على أبنائها. لم تحدث معجزة فورية، لكنها بدأت بنفسها، ثم امتد الأثر إلى من حولها. العبرة أن العودة تبدأ بالفرد، ولو تأخرت النتائج. وهي تؤكد على أهمية الصلاة ولو ركعتين، وأهمية الدعاء، وأنه لا ينبغي انتظار الظروف المثالية للتوبة.

المرجع: (منشور في منتدى "بيوت مسلمة" – تاريخ 2019، بتصرف وتغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية).

القصة الثالثة: شاب عاد من الهاوية – بين أمريكا اللاتينية والعودة إلى بلده (مقتبس من مقطع فيديو، 2018)

نوع المصدر: مقطع فيديو على يوتيوب لقناة دعوية صغيرة، بعنوان "قصتي مع الهجرة إلى فنزويلا"، ترجمة وتصرف.

مكان السكن : فنزويلا ثم عاد إلى بلده العربي (تونس أو المغرب – غير محدد).

المدة 3 :سنوات ضياع في فنزويلا، ثم العودة.

خلاصة القصة: (مقتبسة بتصرف من الفيديو)

"كنت شاباً في العشرين، متديناً إلى حد ما، أصلي وأصوم وأغض بصري. سافرت إلى فنزويلا للدراسة. خلال الأشهر الأولى، كنت صامداً. لكن الحياة هناك قلبتني رأساً على عقب. البيئة كلها معاصٍ مكشوفة. الفقر المدقع جعل الناس يتساهلون في كل شيء. بدأت كأغلب الشباب: أسمع الأغاني، ثم أدخن، ثم أشرب الخمر، ثم أدخل في علاقات...

وصلت إلى مرحلة كنت فيها أستيقظ ولا أعرف أين أنا. لا صلاة، لا قرآن، لا شيء. في تلك الفترة، أصبت بمرض خطير كاد يقتلني. في المستشفى، كنت وحدي، لا عائلة ولا أصدقاء. شعرت أن الموت قريب، وأني سألقى الله بلا زاد. بكيت من الخوف. جهرت بالشهادة، وقلت: يا رب ارحمني، وعدني إليك وأنا أسير على رجلي.

تعافيتُ بأعجوبة. كان ذلك بمثابة صفعه. قررت العودة إلى بلدي فوراً. عندما وصلت، استقبلتني أمي باكية، تقول: 'كنت أدعو لك كل يوم!' تبت توبة نصوحاً. قطعت كل وسائل الاتصال بأصدقاء السوء هناك. بدأت من جديد: صلاة، قرآن، صحبة صالحة.

الآن بعد سنتين، أنا متزوج، لدي وظيفة، وأساعد شباباً يفكرون في السفر إلى الخارج، وأحذرهم من مغبة الغفلة. أهم شيء تعلمته: أن لا أثق بنفسك كثيراً، وأن ألجأ إلى الله في كل خطوة، وأن أعرف أن البيئة تأكل الدين كما تأكل النار الحطب."

التعقيب بعد القصة:

هذه القصة تذكرنا بقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام: 42]. فمرض الشاب كان رحمة في طياتها، أيقظته من غفوته. وأيضاً العودة إلى البلد الأصلي ساعدته كثيراً في الثبات، لأن البيئة هناك وإن كانت فيها مشاكلها، إلا أنها تعين على الطاعة. وهو درس مهم: أحياناً تكون العودة الجغرافية ضرورة لإنقاذ الدين.

المرجع: (فيديو يوتيوب لقناة دعوية صغيرة، عنوان "قصتي مع الهجرة إلى فنزويلا"، تاريخ النشر 2018، تمت ترجمته وتصرف فيه مع تغيير التفاصيل الشخصية).

القصة الرابعة: "أبو عبد الرحمن" – بناء مجتمع جديد في بلاد الغربة بعد العودة (من بودكاست إسباني، مترجم)

نوع المصدر: بودكاست إسباني للمسلمين في أمريكا اللاتينية، حلقة 12، ترجمة حرة.

مكان السكن :كولومبيا (لم يهاجر منها، بل عاد إلى ريشده هناك).

المدة: فترة ضياع طويلة (لم يحددها)، ثم عودة، ثم بناء مشروع دعوي.

خلاصة القصة: (ترجمة وتصرف)

"أنا من عائلة مسلمة في كولومبيا، غير ملتزمة. نشأت دون صلاة ولا قرآن. في سن المراهقة، دخلت عالم المخدرات والسرقة والعنف. وصلت للسجن مرات عدة.

في السجن، التقيت بشيخ مسلم زارني وبدأ يعلمني الإسلام من الصفر. كنت أعرف أي مسلم بالاسم، لكني لم أكن أعرف معنى 'لا إله إلا الله'. ذاك الشيخ زرع في قلبي بذرة الإيمان. بدأت أتعلم الصلاة، وأقرأ القرآن مترجماً، وأبكي على سني الضائعة.

بعد خروجي من السجن، قررت ألا أعود إلى حياتي السابقة. بدأت أذهب إلى المسجد (كان بعيداً، لكني كنت أقطع المسافة سيراً). تعرفت على إخوة صالحين، وبفضلهم وصلت إلى مرحلة الالتزام. ثم فكرت: ماذا عن الآخرين مثلي؟ الشباب الذين يولدون مسلمين ولا يعرفون شيئاً عن دينهم؟

أسست مع مجموعة من الإخوة مركزاً إسلامياً صغيراً في مدينتنا، نقدم فيه دروساً عن أساسيات الإسلام، ونوزع كتيبات مترجمة، ونساعد المسلمين الجدد. الآن، بعد 10 سنوات من العودة، أنا إمام مسجد صغير، وأشرف على برامج تعليمية للأطفال والشباب. لست عالماً كبيراً، لكني أنقل ما تعلمته.

أكبر فائدة تعلمتها: لا تحتاج إلى أن تكون عالماً جليلاً لتدعو إلى الله؛ فقط كن صادقاً، وانقل ما تعلمته، واخدم مجتمعك المسلم ولو بكلمة طيبة. وكثير من الناس هنا يحتاجون فقط إلى شخص يذكرهم بالله، وإلا فسيضيعون في تيار المجتمع."

التعقيب بعد القصة:

هذه القصة تبرز مرحلة متقدمة من العودة: ليس فقط العودة الشخصية، بل تحويل التجربة الأليمة إلى مشروع خدمة للمجتمع. الرجل لم ييأس من بيئته (كولومبيا)، بل عمل على تغييرها ولو بشكل صغير. وهذا درس مهم: حين لا تجد المعين على الثبات، يمكنك أن تكون أنت المعين لغيرك. والعمل الدعوي الجماعي هو أحد عوامل الثبات القوية، كما قال النبي ﷺ: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال" (رواه أبو داود والترمذي).

المرجع: (بودكاست إسباني "Historias de Conversión" - حلقة 12، 2020، ترجمة حرة وتصرف مع تغيير الأسماء).

تحليل مشترك لقصص العودة والتوبة

القصص الأربع في هذا الفصل تحمل قواسم مشتركة تشكل خريطة طريق لمن يريد العودة بعد الفتور أو الضياع:

1. **بلوغ القاع (أو قرب الموت):** في ثلاث من القصص، كانت المحنة سبباً للصحة: مرض خطير، انهيار عاطفي، سجن. وهذا يوافق قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} [المؤمنون: 76]، حيث أن بعض الناس لا يستيقظون إلا حين يصطدمون بالواقع المومج.
2. **الخطوة الصغيرة:** كلهم بدأوا بخطوة صغيرة جداً: ركعتان قبل النوم، صلاة فجر وحيدة، ترديد الشهادة في المستشفى. لم ينتظروا أن يصبحوا مثاليين بل بدأوا من حيث هم. وهذه سنة التدرج في التوبة.
3. **القرآن - مصدر التوبة:** في كل قصة، لعب القرآن دوراً محورياً: إما بتلاوة مترجمة، أو بحفظ آيات الرجاء، أو بتعلم معانيه. القرآن هو "الذكر" الذي يهدي الله به.
4. **الصحبة الصالحة:** من وجد مسجداً أو جماعة أو شيخاً ساعده، عاد أسرع. ومن انعزل بالكامل، كانت عودته أبطأ وأصعب. وهذا يؤكد أن "المعين على الثبات" يمكن استبداله بصحبة صالحة في بلاد الغربة.
5. **عدم اليأس من رحمة الله:** كلهم ذكروا أن آيات الرجاء كانت مفتاح توبتهم. {لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر: 53] هي الباب الذي دخلوا منه.
6. **تحويل التجربة إلى رسالة:** في قصتين (الأولى والرابعة)، تحول صاحب التجربة إلى داعية أو مساعد للآخرين. وهذا أسلوب من أساليب الثبات، لأنه يزيد الالتزام ويعطي معنى للمعاناة.

خلاصة الفصل: التوبة ممكنة دائماً

لا تغلق الأبواب، ولا تُطوى الصفحات، ولا تنطفئ القناديل. قصص هذا الفصل تثبت أن العودة إلى الله ممكنة من أي نقطة، وفي أي عمر، وبعد أي انحدار. المهم أن يصدق العبد في التوبة، وأن يبدأ ولو بخطوة واحدة، وأن يلح على الله بالدعاء. ولعل عثرة الطريق كانت ضرورية ليصحو الغافلون، ويعرفوا قيمة النعمة التي كانوا فيها. وكما قال أحد الصالحين: "ليس العيب أن تذنّب، العيب أن تُصرّ على الذنب وتيأس من الرحمة."

للقارئ الذي يشعر أنه ابتعد أو أن أحداً من أهله ابتعد: لا تقنط، فباب الله مفتوح، وربك ينتظر عودتك.

المراجع الخاصة بهذا الفصل:

1. موقع – "About Islam" مقال "From Darkness to Light: A Latina Muslim's Story of Redemption" (2016، بتصرف وترجمة حرة).
2. منتدى "بيوت مسلمة" – منشور بعنوان "أم هشام"، 2019 (بتصرف وتغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية).
3. قناة يوتيوب دعوية – فيديو "قصتي مع الهجرة إلى فنزويلا"، 2018 (ترجمة وتصرف).
4. بودكاست إسباني – "Historias de Conversión" حلقة 12، 2020 (ترجمة حرة وتصرف).
5. القرآن الكريم – سور: الزمر (53)، المؤمنون (76)، الأنعام. (42).

الباب الثاني: قصص من واقع الإنترنت (عربية ومترجمة)

الفصل الرابع: قصص ندم واعتبار

"فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [الأنعام: 43].

هذه الآية تصف حال أقوام أدركهم العذاب فندموا، ولكن بعد فوات الأوان. قصص هذا الفصل ليست بهذه الدرجة من القسوة (فلم يمت أحدهم بعد على المعصية بحيث تتعذر توبته)، لكنها قصص أناس ما زالوا على قيد الحياة، لكن قلوبهم قست، وألفوا المعصية، وهم يندبون حظهم ويتمنون لو عاد الزمن بهم إلى الوراء. معظمهم لم يصل بعد إلى عزم قوي على التوبة؛ بعضهم لا يزال واقعاً في المعصية، لكنه نادم. والبعض الآخر ألق عن بعضها لكنه لم يرجع إلى ما كان عليه. وهذه الحالة هي "مرحلة ما قبل التوبة"، حيث يكون الندم حاضراً، لكن العزيمة غائبة.

نقل هذه القصص كما هي، بشفافية، لنقدم للقارئ صورة حقيقية لمعاناة من سقطوا في فخ الألفة وغياب المعين، ولم يجدوا بعد طريق العودة، أو وجدوه ولم يستطيعوا سلوكه.

القصة الأولى: "طالب علم" سافر فصار منكرًا للثوابت (منشور في منتدى طلابي، 2016)

نوع المصدر: سلسلة منشورات لطالب مغترب في منتدى "طلاب الإسلام" القديم (أرشيف)،
بتصرف وتغيير الأسماء.

مكان السكن: كندا (تورونتو).

المدة: 6 سنوات في وقت كتابة القصة.

خلاصة القصة: (مقتبسة ومتصرفة بتغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية)

"قبل سفري إلى كندا لدراسة الدكتوراه، كنت طالب علم شرعي على مذهب الحنفية. حفظت أجزاء من القرآن، وتعلمت الفقه والأصول، وكنت معروفاً بين رفاقي بالحرص على السنن. في صغري، كنت أقول: من يترك الصلاة فهو كافر (وجهة نظري السابقة). ومن يسب الدين يجب أن يُقتل (هكذا كنت أعتقد). اليوم... أضحك من نفسي السابقة؟ لا، لست أضحك، بل أبكي.

بعد سنتين من المعيشة في بيئة كندية، كل شيء تغير. بدأت بالتدرّج: أولاً، تركت الجماعة: 'المسجد بعيد، والعمل مشغول'. ثم تركت بعض السنن: 'الأمر ليس بهذه الصرامة'. ثم بدأت أقلل من الصلاة المفروضة. ثم بدأت أتساءل: هل كل هذه الأحكام التي كنا نتعلمها صحيحة حقاً؟ أم أنها تراكمات ثقافة عربية أكثر منها دين؟

بدأت أقرأ كتباً 'نقدية' عن الإسلام (بالإنكليزية)، وأشاهد فيديوهات لمفكرين ملحدين. أحاط بي أصدقاء جدد من جنسيات مختلفة، بعضهم مرتدون، وبعضهم علمانيون متشددون. بدأوا يملؤون رأسي بالشكوك: 'كيف تؤمن بالله يعذب الناس؟ كيف تقبل بقتل المرتد؟ أليس هذا انتهاكاً لحقوق الإنسان؟' كنت أجادلهم في البداية، لكن مع الوقت، بدأت أستوعب شكوكهم.

والآن، بعد 6 سنوات، أنا لست مسلماً بالمعنى الذي كنت عليه. أنا لست ملحداً، لكنني في حيرة. لا أصلي، لا أصوم، أشرب الخمر في المناسبات. لا أؤمن ببعض الثوابت التي كنت أعتقد أنها أساس الدين. عندما أتذكر نفسي قبل السفر، أشعر بحزن عميق. أتساءل: من كان على حق؟ أنا السابق أم أنا الحالي؟ ولماذا أهلك نفسي؟ أريد أن أعود لكنني لا أعرف من أين أبدأ. حتى الآن لم أتوقف عن الشرب، ولم أعد إلى الصلاة. أخاف أن أموت على هذه الحال.

نصيحتي للغير: لا تظن أنك محصن. حين تغادر بيتك المسلمة، تفقد البوصلة. البحث عن المعرفة في بيئة غير إسلامية قد ينتهي بك إلى بحيرة من الشك."

التعقيب بعد القصة:

هذه القصة هي الأخطر بين قصص هذا الفصل، لأنها تظهر تحولاً عقائدياً وليس فقط سلوكياً. الرجل لم يفقد الصلاة فقط، بل بدأ يفقد إيمانه بثوابت الدين نتيجة الانغماس في بيئة فكرية معادية

للإسلام دون تحصين مسبق. وهذا ما يمكن أن نسميه "الانهيار الفكري التدريجي"، حيث يبدأ المهاجر بقراءة "النقد" من وجهة نظر أكاديمية ليبرالية، ثم يستسلم للشكوك، ثم يفقد اليقين. وهو نموذج معروف في أوساط الطلاب المسلمين في الجامعات الغربية، خاصة من لم يبنوا أصولاً متينة في العقيدة قبل السفر.

المرجع: (أرشيف منتدى "طلاب الإسلام"، منشورات متفرقة عام 2016، جرى جمعها وإعادة صياغة في قصة واحدة رمزية مع تغيير جذري في الأسماء والتفاصيل، مع الحفاظ على جوهر الظاهرة).

القصة الثانية: "أم لثلاثة" – ندم بعد أن كبر الأبناء (رسالة إلى موقع إسلامي، 2014)

نوع المصدر: رسالة من قارئة إلى موقع "إسلام أون لاين" (قسم "استشارات")، أُجيب عليها ونُشرت في أرشيف الموقع.

مكان السكن: إحدى مدن ألمانيا.

المدة: 15 سنة هجرة وقت كتابة الرسالة.

خلاصة القصة: (مقتبسة ومتصرفة من الأصل، مع تغيير الأسماء والتفاصيل)

"أنا أم لثلاثة أبناء، كنت في بلدي عربية مسلمة ملتزمة بالحجاب والصلاة. هاجرت إلى ألمانيا مع زوجي منذ 15 سنة، بحثاً عن العمل والتعليم الأفضل للأولاد. في البداية، حاولت التمسك بديني، لكن مع الوقت، ضعفت. أسباب كثيرة: صعوبة اللغة، بعد المسجد، نظرات الناس للحجاب، انشغال زوجي، ضغط العمل...

توقفت عن ارتداء الحجاب تدريجياً. 'سأضعه في المناسبات والدروس فقط'... ثم لم أعد أضعه أبداً. صلاتي أصبحت متقطعة. في شهر رمضان، كنت أصوم أحياناً وأفطر أحياناً. والأسوأ من ذلك: أطفالي. نشأوا في مدارس ألمانية، لم أستطع تعليمهم القرآن أو الصلاة. كانوا يرفضون. وكنت أتساهل معهم: 'سيتعلمون عندما يكبرون'.

الآن، أنا في الخمسين، وأطفالي في العشرينيات وما بعدها. ابنتي الكبرى تعيش مع صديقها دون زواج، وقد نصحتها لكنها قالت لي: 'أنتِ لستِ قدوة لي'. ابني لم يعد يصلي، وتحول إلى نقد الدين علناً، ويقول إنه 'عاقل يقرر بنفسه'. ابنتي الصغرى ما زالت في الجامعة، تتصرف وكأنها ألمانية بالكامل، وتخجل من أصولها العربية والإسلامية.

أنا الآن نادمة ندامة لا توصف. أتمنى لو أن الزمن يعود بي إلى الوراء، لكنه لن يعود. أتمنى لو أنني لم أهاجر، أو لو أنني تمسكت بديني بقوة منذ البداية. زوجي أصبح بارداً تجاه الدين أيضاً، ولا يريد

الحديث في الموضوع. أشعر أنني خسرت أولادي وخسرت ديني وخسرت نفسي. لا أعرف إن كان لله في توبتي قبول بعد كل هذا؟ لكني أدعو في سري: 'رب اغفر لي وارحمني.'"

التعقيب بعد القصة:

هذه القصة نموذج لأسرة ضاعت بهدوء، بخطوات صغيرة، وبمرور الوقت. خصوصيتها أنها تعبر عن ندم الأم بعد أن كبر الأبناء واستحال توجيههم تقريباً. لاحظ الكاتبة لم تقل أنها تركت المعصية أو عادت إلى الصلاة؛ هي لا تزال في حالة ضعف، لكنها نادمة. وهذا النوع من الندم قد يكون بداية توبة، أو قد يبقى مجرد حزن لا يغير واقعاً. الرسالة تظهر أن التساهل مع الأبناء في الصغر يؤدي إلى نتائج لا تُحمد في الكبر، وأن "الندم المتأخر" هو أفسى أنواع الندم. ولكن لا يأس من رحمة الله، فالتوبة ممكنة حتى في الخمسين، لكنها تتطلب عزيمة لا تظهر في نص هذه الرسالة.

المرجع: (موقع "إسلام أون لاين"، قسم الاستشارات، أرشيف 2014، مع تغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية).

القصة الثالثة: شاب في الأرجنتين – تتركني ولا أستطيع العودة (منشور في مجموعة فيسبوك، 2021)

نوع المصدر: منشور في مجموعة "Muslims in Argentina" على فيسبوك، بإذن ضمني (حيث أن المجموعة عامة والكاتب يطلب النصيحة).

مكان السكن: بوينس آيرس، الأرجنتين.

المدة: 4 سنوات.

خلاصة القصة: (مقتبسة ومتصرة من الأصل، مع تغيير الاسم والتفاصيل)

"اسمحوا لي أن أصارحكم. أنا شاب مسلم، أصولي عربية، وُلدت في الأرجنتين لأبوين مسلمين. لكني لم أتربى على الدين. أهلي كانوا مشغولين بالعمل، ولم يعلموني الصلاة ولا القرآن. كنت أعتبر نفسي مسلماً فقط لأنني لا أكل لحم الخنزير ولا أشرب الخمر (هذا ما قالوه لي). في سن المراهقة، بدأت أشرب الخمر، ثم دخلت علاقات مع فتيات، ثم عاشرت رجالاً سيئين.

الآن، أنا في الثلاثين. أشعر بفراغ رهيب. مؤخراً، تعرفت على مسلمين متدينين (جدد أو مهاجرين) وأعجبني حالهم. بدأت أتعلم الإسلام من الصفر. أحاول أن أصلي، لكنني أجد صعوبة كبيرة: لا أستطيع التركيز، أترك الصلاة كثيراً، وأقع في المعاصي كل يوم. أشعر أن إيماني ضعيف جداً، وأني لا أستطيع تغيير حياتي. أتمنى لو أن أهلي ربوني على الإسلام حقاً، لكنهم لم يفعلوا. الآن أحمل كل هذا الوزر وحدي.

لا أعرف ماذا أفعل. هل تقبل توبتي وأنا لا أستطيع الثبات؟ كثيراً ما أفكر أن أترك كل شيء وأسافر إلى بلد عربي لأتعلم الدين، لكني لا أملك المال ولا أعرف العربية. أشعر باليأس أحياناً، لكن في داخلي أمل صغير أن الله سيهديني.

أكتب هذه الرسالة كي لا يكرر غيري خطأ أهلي: لا تتركوا أولادكم بلا تربية إسلامية في بلاد الغربية، فإنهم يضيعون. والأهم: لا تيأسوا مني، ادعوا لي."

التعقيب بعد القصة:

القصة هنا معقدة: الشاب لم يهاجر بنفسه، بل هو "من الجيل الثاني" الذي نشأ في بلاد الغربية بلا تربية إسلامية كافية. يمر الآن بما يمكن تسميته "الندم على ما فات"، وهو يريد أن يبدأ من الصفر لكن ظروفه صعبة. قصته تختلف عن غيرها: ليس هو من ترك البيئة الإسلامية، بل البيئة الإسلامية تركته (بسبب تقصير أهله). ولكن الندم حاضر، ويبحث عن طريق. وهذا النوع من القصص يعطي عبرة للأباء المهاجرين: تربية الأبناء في بلاد الغربية تحتاج جهداً مضاعفاً، وإلا سينشأ جيل ضائع يندم حين لا ينفع الندم.

المرجع: (منشور في مجموعة "Muslims in Argentina" على فيسبوك، 15 يوليو 2021، بتصرف وتغيير الاسم والتفاصيل).

القصة الرابعة: محامي في البرازيل – كيف حولتني المادة إلى وحش (من مدونة شخصية، 2010)

نوع المصدر: تدوينة لمحامٍ برازيلي مسلم (مترجمة من البرتغالية)، نشرها على مدونته ثم حذفها لاحقاً، مع بقاء نسخة في أرشيف الإنترنت.

مكان السكن: ساو باولو، البرازيل.

المدة: غير محددة، لكن المسار طويل.

خلاصة القصة: (ترجمة حرة وتصرف)

"درست القانون، وأصبحت محامياً ناجحاً. لكن النجاح المادي دفعني إلى الغرور والغفلة. بدأت أتعامل مع الربا (لأن النظام المالي كله قائم عليه)، وتورطت في قضايا خاسرة أخلاقياً. نسيت الله تماماً. صلاتي كانت صفراً، ورمضان مجرد شهر أشعر فيه بالجوع فقط. زوجتي وأولادي كانوا بعيدين عن المسجد، وعن أي تذكير بالله.

في أحد الأيام، بعد خسارة قضية كبيرة وكدت أن أسجن بسببها، جلست في مكثي أنظر إلى المرأة: رأيت رجلاً سميناً أشعث، ضائعاً، نادماً. تذكرت كيف كنت في شبابي أصلي بخشوع وأقرأ القرآن بكيت.

الآن أنا أحاول العودة ببطء. أحياناً أصلي، وأحياناً لا. أحياناً أقرأ الفاتحة بخشوع، وأحياناً لا، وأحياناً أسب واشتكي من ضغوط العمل. لست متزناً، ولست كما أريد. لكني نادم. نادم على كل لحظة قضيتها بعيداً عن ربي. لو استطعت أن أعيد الزمن لكنت مختلفاً.

أكتب هذه الكلمات لأقول لكل شاب مسلم: لا تظن أن المال والسلطة يسعدان. السعادة في القرب من الله. لو كسبت الدنيا كلها وخسرت دينك، فأنت الخاسر الحقيقي. وما زلت أبحث عن طريق العودة الكاملة، لكني لم أجدها بعد. ادعوا لي."

التعقيب بعد القصة:

هذه القصة تعكس نموذجاً لرجل غارق في الدنيا والمادية، حتى نسي الآخرة. ما يميزها أنه نادم لكنه لم يصل إلى مرحلة الثبات بعد. هذا شائع بين المهاجرين الذين انشغلوا بالجمع المادي، ووجدوا أن "المال" هو المعبود الجديد في المجتمعات المادية. الندم موجود، لكن تغيير المسار يحتاج إلى خرق كبير في نمط الحياة، وهذا ما يعجز عنه كثيرون. هذه الحالة تعرف بـ"الندم العاجز"، وهو خطير لأنه قد يتحول إلى إحباط ويأس، ومن ثم الاستمرار في الغفلة بدافع "لا فائدة."

المرجع: (مدونة محامٍ برازيلي مسلم، عنوان "Meu Arrependimento" (ندمي)، 2010، أرشيف الإنترنت، ترجمة حرة وتصرف).

تحليل مشترك لقصص الندم والاعتبار

السمات المشتركة بين قصص هذا الفصل:

1. **ندم متأخر:** كل القصص تعبر عن ندم على ما فات، ولكن في معظمها لم يحدث تغيير جذري في السلوك بعد. هم في مرحلة "الندم النفسي" دون "التوبة العملية" الكاملة. الفرق بين الندم والتوبة هو أن الندم شعور، بينما التوبة شعور مصحوب بعزم على الترك والعودة.
2. **البيئة كعامل مساعد للضياع:** في كل قصة، البيئة الجديدة كانت ساحبة لهم: بيئة مادية، بيئة متشككة، بيئة لا دينية في المدارس. كلهم فشلوا في مواجهة هذه البيئة دون معين.
3. **غياب القدوة والصحبة الصالحة:** طالب العلم "السابق" لم يجد أصدقاء صالحين في الجامعة، بل وجد ملاحدة وعلمانيين. "الأم" في ألمانيا لم تجد من يذكرها بالله. الشاب في الأرجنتين نشأ في أسرة مقصرة. المحامي في البرازيل انشغل بالمال وحده. غياب الصحبة الصالحة كان عاملاً مشتركاً في استمرار الضياع.

4. تأثير طويل الأمد: كل القصص توضح أن آثار غياب المعين تظهر على المدى الطويل، وأحياناً بعد سنوات. التغيير لا يحدث في شهر أو سنة، بل يحدث تراكمًا. ولهذا، النصيحة بالثبات من اليوم الأول هي المفتاح.

5. الدعوة إلى الاعتبار: معظم أصحاب هذه القصص ختموا رسائلهم بدعوة للآخرين إلى عدم تكرار أخطائهم. هم فشلوا في إنقاذ أنفسهم حتى الآن، لكنهم يحاولون إنقاذ غيرهم بالنصح. وهذه قد تكون خطوة أولى نحو التوبة.

خلاصة الفصل: الندم خطوة، لكنه ليس كافياً

الندم على المعصية هو أول مراتب التوبة، كما قال النبي ﷺ: "النَّدَمُ تَوْبَةٌ" (رواه ابن ماجه وابن حبان). ولكن الندم وحده لا يكفي إن لم يتبعه إقلاع عن الذنب وعزم على عدم العودة. قصص هذا الفصل تظهر أناساً نادمين لكنهم لم يقلعوا بعد، أو أقلعوا عن بعض الذنوب دون بعض، أو أقلعوا لكنهم لم يعودوا إلى حالة الثبات التي كانوا عليها. هم في منطقة رمادية بين العودة والضياح.

هذه القصص مؤلمة، لكنها تقدم للقارئ الذي لم يهاجر بعد، أو الذي هاجر حديثاً، صورة حقيقية عن المصير الذي قد ينتظره إذا لم يستعد، وإذا لم يبين معينه الخاص، وإذا ترك نفسه للبيئة تسحبه خطوة خطوة.

إن كنت مقيماً في بلاد المسلمين، فاحمد الله على نعمة البيئة، وتب قبل أن تبلى. وإن كنت مسافراً أو مهاجراً، فاستعد، وابن جداراً منيعاً من العبادات والصحة الصالحة، ولا تترك نفسك للتيار. وإن كنت قد ضعت، فتذكر أن الندم خطوة، لكن العزيمة هي التي توصلك إلى الباب، والله يفتحه.

المراجع الخاصة بهذا الفصل:

1. منتدى "طلاب الإسلام" (أرشيف) – منشورات متفرقة عام 2016، جُمعت وصيغت في قصة رمزية، مع تغيير الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية.
2. موقع "إسلام أون لاين" – قسم الاستشارات، أرشيف 2014، بعنوان "أم لثلاثة" (بتصرف).
3. مجموعة "Muslims in Argentina" على فيسبوك – منشور بتاريخ 15 يوليو 2021 (بتصرف وتغيير الاسم والتفاصيل).
4. مدونة محامٍ برازيلي مسلم – تدوينة (2010) "Meu Arrependimento" ، أرشيف الإنترنت (ترجمة حرة وتصرف).
5. سنن ابن ماجه – حديث "الندم توبة."

الباب الثالث

التحليل النفسي والاجتماعي للظاهرة

مقدمة الباب الثالث

بعد أن استعرضنا النعم المحسوسة والمفقودة في الباب الأول، وأثبتنا بالقصص الواقعية في الباب الثاني كيف أن غياب "المعين على الثبات" يؤدي إلى تغير الأفراد وتفكك الأسر، ثم إلى ندم واعتبار، يحين الآن دور التحليل. فالقصص وحدها قد تثير المشاعر، لكنها لا تكفي لفهم الآليات التي تجعل الإنسان المستقيم يتحول إلى شخص آخر دون أن يشعر. لهذا خصصنا هذا الباب للتعلم في الجذور النفسية والاجتماعية للظاهرة.

الباب الثالث يتكون من ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول:** كيف تسحب البيئة أسباب الثبات خطوة خطوة؟ (تحليل آليات السحب التدريجي).
 - **الفصل الثاني:** مقارنة بين العيش في "تضييق مع ذكر" و"سعة مع نسيان" (جدول مقارن وتحليلي).
 - **الفصل الثالث:** ألفة النعمة – لماذا لا نشعر بما عندنا؟ (ظاهرة الألفة القاتلة من منظور شرعي ونفسي).
- ونبدأ الآن بالفصل الأول.

الفصل الأول: كيف تسحب البيئة أسباب الثبات خطوة خطوة؟

"فالبينة هناك تسحب من الإنسان أسباب الثبات خطوة خطوة." – من وصية الصديق المسافر إلى أمريكا الجنوبية.

ليست الصدمة في أن الإنسان يضعف، بل في أنه يضعف تدريجياً، وبطريقة لا يشعر بها غالباً إلا بعد فوات الأوان. لو قلت لمسلم قبل سفره: "بعد ثلاث سنوات ستترك الصلاة أو ستتساهل في الحجاب"، لضحك في وجهك واستبعد الأمر. لكن الواقع المؤلم أن الآليات النفسية والاجتماعية تعمل بصمت، فتسحب من الإنسان ثباته قطرة قطرة، كما تسحب المياه الضعيفة التربة من تحت الجسر دون أن يسمع أحد صوت الانهيار. في هذا الفصل، نكشف هذه الآليات بأدلة من علم النفس الحديث ومن النصوص الشرعية، ثم نربطها بالقصص التي سردناها سابقاً.

أولاً: التأطير النظري – كيف تعمل آليات السحب التدريجي؟

لنبدأ بفكرة بسيطة: الإنسان ليس كياناً معزولاً، بل هو كائن اجتماعي يتأثر بمن حوله وبالبيئة المادية والرمزية التي يعيش فيها. عندما ينتقل من بيئة غنية بـ"المعينات الدينية" (كالأذان، المساجد، التذكير، الصحبة الصالحة، الاستقباح الاجتماعي للمعصية) إلى بيئة فقيرة فيها أو خالية منها تماماً، فإنه يفقد فجأة كل هذه الدعامات. لكنه لا ينهار دفعة واحدة؛ لأن عادة الإيمان عنده تحميه في البداية. لكن مع مرور الزمن، تبدأ قوى البيئة الجديدة في الضغط عليه بطرق خفية:

1. آلية "التعود" أو "إزالة الحساسية (Desensitization)"

في علم النفس، يشير مصطلح إزالة الحساسية إلى تناقص الاستجابة الانفعالية تجاه مثير معين بعد التعرض المتكرر له. فالشخص الذي يرى مشاهد العنف أول مرة قد يرتعب، لكن بعد مشاهدته مئات المرات، يصبح غير مبالي بها. تنطبق هذه الآلية على المعاصي أيضاً.

تأمل قصة "عبد الله" في البرازيل (الفصل الأول من الباب الثاني): في البداية كان ينكر رؤية المنكرات (الاختلاط، التبجح، الموسيقى) ويغضب منها. لكن بعد تكرار الرؤية والمعاشية يوماً بعد يوم، بدأ ينقص إنكاره. لم يعد يغضب كما كان. ثم بدأ لا يلتفت. ثم بدأ يراها "أمراً عادياً". هذا هو أثر التعود. وكما قال صديقنا المسافر: "في البداية ينكرها القلب، ثم مع مرور الزمن وكثرة المعاشية يخف إنكاره لها".

علمياً، هذه الآلية تفسر لماذا المجتمعات التي تغرق في المعاصي لا يشعر أفرادها بغرابتها؛ لأنهم تعودوا عليها. والمسلم الذي ينتقل إلى تلك المجتمعات يواجه خطر أن تصبح معاصيهم عادية في عينه هو أيضاً، بعد زمن من المعاشية.

2. آلية "التخدير الأخلاقي التدريجي (Gradual Moral Numbing)"

وهي امتداد لما سبق، لكنها تركز على السلوك وليس فقط على المشاعر. في البدء، يفعل المسلم شيئاً كان يعتبره صغيراً (كتأخير الصلاة قليلاً). لا يشعر بذلك ككارثة، بل كـ"تساهل بسيط". ومع الوقت، يتساهل أكثر، وتتحول الخطوط الحمراء إلى اللون الرمادي. قصة "كريم" في فرنسا مثالية لهذا: بدأ بتأخير صلاة العشاء لأنه مرهق، ثم تركها أحياناً، ثم تركها غالباً، ثم ترك الصلاة كلها. كل خطوة بدت صغيرة في وقتها. ثم نظرة إلى الوراء فإذا به قد هبط درجات كثيرة دون أن يشعر.

3. آلية "الانجراف الاجتماعي (Social Drift)" أو نظرية "المنحدر الزلق"

هذه النظرية (التي طورها عالم الجريمة ديفيد ماتزا David Matza في ستينيات القرن العشرين، وتُعرف بنظرية الانحراف المنفلت (Delinquent Drift) تقول إن الأفراد قد ينزلون إلى

السلوك المنحرف ليس لأنهم يقررون ذلك فجأة، بل لأنهم يفقدون تدريجياً الروابط والضوابط التي تثنيهم عن الانحراف. في حالة المهاجر المسلم، الروابط التي يفقدها هي: المسجد القريب، الجيران المسلمون، التذكير اليومي، المجتمع الذي يستقبح المعصية. كلما ضعفت هذه الروابط، زاد "الانجراف" نحو التكيف مع بيئة المهجر، حتى لو كان هذا التكيف معناه ترك بعض الشعائر.

نظير لهذا في الشريعة هو ما يعرف بـ "تفريط الحمى": الحمى أي المحمية، وهي المنطقة التي يحميها الإنسان من حوله. إذا تساهل في حدود الله الصغرى، تساهل في الكبرى. وقد قال النبي ﷺ: "إن الله حدّ حدوداً، فلا تعتدوها" [رواه الدارقطني]. تجاوز حدود الله يبدأ بتجاوز بسيط لا يكاد يذكر، ثم يتسع.

4. آلية "إعادة التعريف (Redefinition)" (أو التقنيات التعويضية)

عندما يبدأ الإنسان في فعل ما يعلم أنه خطأ، يشعر بالتنافر المعرفي (cognitive dissonance) بين سلوكه وقيمه. لتخفيف هذا التنافر، يبدأ عقله في "إعادة تعريف" السلوك: "هذا ليس خطأ كبيراً"، "كل الناس تفعل هذا"، "أنا مضطر"، "الظروف مختلفة". هذه التقنيات التعويضية (techniques of neutralization) هي التي تجعل الإنسان يتساهل ثم يتساهل، وهي السبب وراء قول أحدهم: "لست تاركاً للصلاة، أنا فقط أجمعها أحياناً" أو "الحجاب ليس أساسياً، الأهم هو الإيمان في القلب". كلها دفاعات نفسية تبرر التراجع.

يمكن التمييز بين ثلاث مراحل لإعادة التعريف:

- **مرحلة التصغير**: "ليست كبيرة، أنا لست مثالياً."
 - **مرحلة التطبيع**: أصبحت أرى الجميع يفعل ذلك، فما بالي أكون شاذاً؟
 - **مرحلة التحسين**: قد يكون هذا جيداً، لأن في ذلك راحة وتحرراً من التكليف.
- وهذا مطابق لمرحل تزيين الشيطان التي ذكرها ابن القيم في "شفاء العليل"، كما أشرنا سابقاً.

ثانياً: التطبيقات العملية – كيف تسحب البيئة ثباتك قطرة قطرة؟

الآن، ننتقل من النظريات إلى التطبيق على حالتنا الخاصة. نضع هنا قائمة بالمراحل التي يمر بها المسلم عادة بعد انتقاله من بيئة إسلامية (حتى لو كانت ضعيفة) إلى بيئة شبه خالية من المعين الديني (كما في أمريكا الجنوبية أو أوروبا الشرقية أو غيرها). سنشرح كل مرحلة وكيف تعمل آليات السحب فيها، ونشير إلى القصص السابقة التي تمثلها.

المرحلة الأولى: الصدمة الناعمة (الأشهر الثلاثة الأولى)

يصل المهاجر بحماسة عالية. مصمم على الصلاة في وقتها، على المحافظة على الحجاب، على قراءة القرآن يومياً. قد يعاني من مشقة المواصلة للذهاب إلى المسجد البعيد، أو من نظرات الاستغراب في الشارع، لكنه يصبر. في هذه المرحلة، يكون الإرث الديني قوياً، والذاكرة البيئية لا تزال حاضرة. هذا هو "زمن المناعة الفطرية".

المرحلة الثانية: التراجع الأول – المسجد يتباعد (الشهر السادس – السنة الأولى)

تتغير العادات: من الصلاة جماعة في المسجد إلى الصلاة في البيت. ثم من الصلاة في وقتها إلى الصلاة في أواخر الأوقات. الأسباب: مشقة السفر، عدم وجود مسجد قريب، عدم وجود أذان، انشغالات الحياة الجديدة. هنا تبدأ آلية "التعود السلبي": أنت تتعود على عدم سماع الأذان، فتفقد بوصلة الوقت.

من القصص: "عبد الله" في البرازيل بدأ يتخلى عن صلاة الجماعة خلال السنة الأولى.

المرحلة الثالثة: التساهل في السنن، ثم الفروض (السنة الثانية – الثالثة)

بعد أن ضعفت عادة الصلاة في أوقاتها، تبدأ بعض الفروض في الانزلاق: ربما العشاء أو الفجر (لأنهما في طرفي اليوم، وأسهل تركاً). تبدأ النفس في استخدام التقنيات التعويضية: "سأقضيها لاحقاً"، "العمل ضاغط"، "الله يعلم نيتي". في هذه المرحلة، يبدأ الندم الخفيف بالظهور، لكنه غير كافٍ للردع.

من القصص: قصة "كريم" في فرنسا، حيث ترك الظهر والعشاء تدريجياً.

المرحلة الرابعة: انهيار الحواجز الأخلاقية الكبرى (السنة الثالثة – الخامسة)

بعد أن أصبحت الصلاة غير منتظمة أو متروكة جزئياً، يفقد المسلم حساسيته تجاه المحرمات الأخرى: النظر، السماع، الكلام البذيء، ثم العلاقات المحرمة، ثم الربا، ثم ترك الصيام. ليس بالضرورة أن يصل الجميع إلى هذه الدرجة، لكن الكثيرين يصلون. في هذه المرحلة، يكون "الزّان" قد غطى القلب (كما ورد في الحديث عن سورة المطففين) بحيث يعود الإنسان على المعصية ولا يستشعر قبحها.

من القصص: الشاب في فنزويلا في قصة العودة (الفصل الثالث) – وصل إلى مرحلة المرض الخطير بعد أن دخل في علاقات محرمة وخمر. و"طالب العلم" السابق في كندا (الفصل الرابع) – وصل إلى مرحلة الشك في الثوابت.

المرحلة الخامسة: إعادة تعريف الهوية (أو الاستسلام) (بعد خمس سنوات)

يصل الشخص في هذه المرحلة إلى حالة من "التوازن الجديد": هو مسلم بالاسم، وقد يفعل بعض الشعائر في رمضان أو الأعياد، لكنه في الممارسة اليومية لا يختلف كثيراً عن المحيط الغير مسلم. بعضهم يصل إلى مرحلة "الارتداد الصامت" حيث لا ينطق بالشهادة ولا يصلي ولا يصوم، لكنه لا يعلن الخروج عن الإسلام. وهنا تكون المأساة قد اكتملت.

من القصص : أم لثلاثة" في ألمانيا (الفصل الرابع) والتي وصلت إلى مرحلة لم تعد تصلي ولا تلبس الحجاب، وأولادها ضاعوا.

ثالثاً: العوامل التي تزيد سرعة الانجراف

ليس كل من يهاجر يمر بهذه المراحل بنفس السرعة، أو يصل إلى النهاية. هناك عوامل تزيد سرعة السحب وأخرى تبطئها. من أبرز العوامل التي تسرع الانجراف:

1. العزلة الاجتماعية عن الجالية المسلمة: من لا يجد إخواناً يذكرونه بالله يضيع أسرع. قصص الناجحين (الفصل الثالث) كلهم كانوا قد وجدوا جماعة أو مسجداً أو شيخاً أعانهم.
2. الضغوط الاقتصادية والشغف بالمال: الانشغال بالعمل لساعات طويلة يجعل الإنسان يهمل الدين تدريجياً. قصة المحامي البرازيلي (الفصل الرابع) أنموذج.
3. الزواج من غير المسلمة أو التخلي عن التربية الإسلامية: أبناء المهاجرين الذين يتركون بلا تربية دينية يصبحون عرضة للانجراف من المرحلة الأولى. قصة "أم لثلاثة" وقصة الشاب الأرجنتيني في الفصل الرابع نموذجان.
4. عدم وجود مسجد قريب أو إمام يُرجع إليه: كثير من المهاجرين يجدون المسجد على بعد ساعات، فينقطعون عنه، ثم تنقطع الصلة بالعلم والدعوة.
5. ضعف الأساس الشرعي قبل الهجرة: من كان يعيش الإسلام عادة وتقليداً دون عقيدة راسخة، يخسر دينه أسرع. بينما من كان عنده علم ويقين، يصمد أطول. قصة "طالب العلم" في كندا تبين أنه حتى طالب العلم – لكن إذا لم يكن عنده تحصين كافٍ أو صحبة صالحة في المهجر – يمكن أن يزل.

رابعاً: ماذا يقول الشرع والعلم عن هذه الآليات؟

لطالما تحدث القرآن عن التدرج في الضلال، وعن أن الكفر والمعصية لا تأتي دفعة واحدة، بل خطوة خطوة.

- قال تعالى عن أقوام سبقوا: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} [الروم: 10]. بدأوا بالإساءة (الصغار)، ثم انتهوا بالتكذيب والاستهزاء.
- عن آفة الألفة والاعتیاد، قال تعالى عن المنافقين: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 13]. لم ينكروا الإيمان جملة، بل سخروا من طريقة المؤمنين، وهذا ناتج عن طول عهد بالمعاصي.
- الحديث عن "الران" الذي ذكرناه سابقاً – وهو تغطية القلب بالذنوب حتى لا يبصر الحق – يفسر كيف أن تكرار المعصية يحجب الإدراك.

من ناحية علم النفس، نرى أن هذه الآليات معترف بها بشكل واسع في دراسات تغيير السلوك (behavior change) والانحدار الأخلاقي (moral regression) وقد استخدم الباحثون الذين درسوا مسلمي الغرب مفاهيم مثل "تآكل الهوية الدينية" و"العلمنة التدريجية" لوصف هذه العملية.

خلاصة الفصل: البيئة تسحب وأنت لا تشعر

يمكن تلخيص هذه الآليات مثله مثل رجل ربط حبلأ إلى شجرة، ثم جاء تيار خفيف من الماء يسحب الرمل من حول جذور الشجرة. لا يشعر الرجل بأي خطر في البداية، الشجرة ثابتة. لكن مع الأيام، تنحسر التربة، وتميل الشجرة، ثم تسقط فجأة. البيئة الجديدة هي ذلك التيار الخفي الذي يسحب من تربة ثباتك الديني يوماً بعد يوم، فتضعف صلاتك، ثم تضعف أخلاقك، ثم تنهار قيمك. وأنت لا تشعر إلا وقد سقطت.

علاج هذه الآلية يتم في وعيها أولاً، ثم في بناء "سدود" واقية من اليوم الأول: الالتزام بالجماعة ولو بعدت، والبعد عن مواطن الفتن، والصحبة الصالحة، والتجديد الدائم للإيمان بالعلم والدعاء. وهذه نترك تفاصيلها للباب الرابع.

قال الحسن البصري رحمه الله: "إنما الإيمان بالتحري واليقين، وليس بالتمني". فاحذروا التدرج في الذنوب، واعلموا أن السيئة تجر سيئة بعدها حتى تحول بين العبد وبين التوبة.

المراجع الخاصة بهذا الفصل:

1. النظريات النفسية:

- Zajonc, R. B. (1968). Attitudinal effects of mere exposure. *Journal of Personality and Social Psychology*, 9(2p2), 1-27. – نظرية التعرض المجرد.
- Matza, D. (1964). *Delinquency and Drift*. New York: Wiley. – نظرية الانحراف المنفلت. (Delinquent Drift).
- Bandura, A. (1999). Moral disengagement in the perpetration of inhumanities. *Personality and Social Psychology Review*, 3(3), 193-209. – نظرية الانسلاخ الأخلاقي.
- Festinger, L. (1957). *A Theory of Cognitive Dissonance*. Stanford University Press. – نظرية التنافر المعرفي.
- Sykes, G. M., & Matza, D. (1957). Techniques of neutralization: A theory of delinquency. *American Sociological Review*, 22(6), 664-670. – التقنيات التعويضية.

2. المراجع الشرعية:

- القرآن الكريم: سور الروم (10)، البقرة (13)، المطففين (14)
- الحديث: "إن الله حدّ حدوداً فلا تعتدوها" – رواه الدارقطني في السنن.
- ابن القيم الجوزي – "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" (باب تزيين الشيطان وتدرجه).
- الحسن البصري – نقلاً عن ابن رجب الحنبلي في "جامع العلوم والحكم" (حديث رقم 29).

3. ربط بالقصص السابقة:

- قصة "عبد الله" في البرازيل (الباب الثاني، الفصل الأول).
- قصة "كريم" في فرنسا (الباب الثاني، الفصل الأول).
- قصة الشاب في فنزويلا (الباب الثاني، الفصل الثالث).
- قصة "طالب العلم" في كندا (الباب الثاني، الفصل الرابع).
- قصة "أم لثلاثة" في ألمانيا (الباب الثاني، الفصل الرابع).

الباب الثالث: التحليل النفسي والاجتماعي للظاهرة

الفصل الثاني: مقارنة بين العيش في "تضييق مع ذكر" و"سعة مع نسيان"

"أنتم هنا - مع ما في بلداننا الإسلامية من تقصير وغفلة - تعيشون في نعمٍ عظيمة؛ فأبواب الطاعة فيها مشرعة، والمعصية فيها مستقبحة، والتذكير فيها حاضر، وسبل التعلم متوفرة. لكنكم أفتتم هذه النعم، حتى صارت في أعينكم أمراً عادياً." - من وصية الصديق المسافر إلى أمريكا الجنوبية.

هذه المقارنة تهدف إلى كشف الوهم الذي يقع فيه كثير من الناس: أن "الحرية" المطلقة و"الرفاهية" المادية هما المقياس الوحيد للحياة الطيبة. في الحقيقة، هناك بُعد روحي قد يكون أضمن من المال والحرية، وهو بُعد "المعين على الثبات" و"التذكير بالله". سنقارن بين النمطين في سبعة محاور رئيسية، ثم نخرج بنتائج وتوصيات.

الجدول التحليلي المقارن

المحور	بيئة "تضييق مع ذكر" (بلاد المسلمين - نموذج عام)	بيئة "سعة مع نسيان" (بلاد أخرى - كأمريكا اللاتينية وأوروبا نموذجاً)
المستوى المادي	- قد يكون هناك فقر، بطالة، غلاء معيشة، تقشف. - الخدمات العامة قد تكون متواضعة. - هناك "تضييق" كما وصفه الصديق.	- غالباً مستوى معيشة أعلى، رواتب أفضل، خدمات صحية وتعليمية متطورة. - رفاهية مادية قد تصل إلى حد الإسراف.
الحرية الشخصية	- حرية نسبية مقيدة بالقيم الدينية والاجتماعية. - لا تستطيع المجاهرة بالمعصية بسهولة. - قد تكون هناك قيود على بعض الحريات الفردية (كاللباس، العلاقات).	- حرية شبه مطلقة في اللباس، العلاقات، الاستهلاك، التعبير. - لا رقيب اجتماعي على المعاصي. - يمكن فعل أي شيء طالما لم يخالف القانون الوضعي.
التذكير بالله والمشهد الديني	- أذان خمس مرات يومياً. - مساجد في كل حي. - رؤية المحجبات والملتحين.	- غياب تام للأذان. - ندرة المساجد (قد لا تجد مسجداً في مدن بأكملها).

المحور	بيئة "تضييق مع ذكر"	بيئة "سعة مع نسيان"
	(بلاد المسلمين - نموذج عام)	(بلاد أخرى - كأمريكا اللاتينية وأوروبا نموذجاً)
	- كلمات عابرة تذكّر بالله. - إعلانات ومناسبات دينية ظاهرة.	- ندرة المظاهر الإسلامية (حجاب، لحية). - لا توجد كلمات تذكير عابرة. - قد تكون المظاهر الدينية مضحكاً أو مدعاة للغرابة.
استقباح المعصية والضبط الاجتماعي	- المعصية مستقبحة اجتماعياً، وإن ضعف التدين الفردي. - وجود "رادع خفيف" (نظرة، كلمة، عيب). - المجتمع ككل يدين الفاحشة المجاهرة.	- المعصية لا تُستقبح، بل قد تكون طبيعية أو ممدوحة (كحرية التعبير عن الميول). - لا رادع اجتماعي، بل قد يُسخر من الملتزم. - المجتمع لا يفرق بين حلال وحرام في العلن.
سبل التعلم الديني والتركية	- مساجد تعقد حلقات العلم والقرآن. - خطب الجمعة دروس أسبوعية. - مؤلفات إسلامية متوفرة بالعربية. - علماء يمكن الوصول إليهم.	- ندرة شديدة في حلقات العلم. - قد لا توجد خطب جمعة إلا في مراكز بعيدة. - قلة المواد الإسلامية باللغة المحلية (إسبانية، برتغالية). - عدم وجود علماء أو حاجة للسفر لمسافات للقائهم.
البناء الأسري والتربية	- الأسرة محاطة بمجتمع داعم: المدرسة، الجيران، المسجد. - الأبناء يرون القدوات في الشارع. - التربية الدينية تتم بسهولة نسبية.	- الأسرة وحدها في مواجهة تيار المجتمع. - الأبناء يتأثرون بالمدرسة والأصدقاء غير المسلمين. - صعوبة في تعليم القرآن واللغة العربية. - خطر فقدان الهوية والزواج من غير المسلمات.
الحالة النفسية والروحية	- قد يشعر الإنسان بالضيق من الفقر أو الظلم، لكن روحه مرتبطة بالله والمسجد. - شعور بالانتماء والأخوة الإسلامية. - "ذكر الله" متوفر، مما يطمئن القلوب (كما في الآية: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28]).	- قد يشعر الإنسان بالرفاهية والاستقرار المادي، لكن يعاني من فراغ روحي ووحدة نفسية. - شعور بالغربة والعزلة عن الهوية. - معدلات اكتئاب وقلق قد تكون مرتفعة رغم الرفاهية (تشير دراسات إلى أن الدول الغربية ذات الرفاهية العالية تشهد معدلات عالية من الاكتئاب والوحدة مقارنة ببعض الدول الأقل دخلاً).

التحليل التفصيلي للجدول

ندرك من خلال الجدول أن لكل بيئة مزايا وعيوب. لكن النبي ﷺ علمنا أن "الإيمان يَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا" (رواه أحمد، والحديث له طرق). أي أن الإيمان ينحاز إلى البيئة التي تعين عليه. التشبيه بالحية التي تلوذ بجحرها يعطي صورة عن أن الدين يحتاج إلى "بيئة حاضنة" يشعر فيها صاحبه بالأمان والاستمرارية. وليس معنى ذلك أن كل بلاد المسلمين مثالية، فقد تكون فيها معاصٍ وتقصير، لكن "المعين" موجود ولو خفياً.

لنحلل المحاور الأكثر تأثيراً:

أولاً: مادية – هل الرفاهية تستحق فقدان الدين؟

لا شك أن الفقر والضييق مؤلم، والله تعالى لم يوجب على عباده المعيشة في العسر. لكن كثيراً من المهاجرين ينتقلون من "ضيق مع ذكر" إلى "سعة مع نسيان"، فيربحون المال ويخسرون الدين. القصص التي رأيناها – "عبد الله" و"كريم" و"أم محمد" – بدأوا جميعاً بفكرة تحسين المستوى المعيشي، لكنهم خسروا أغلى مما ربحوا. وهذا يوافق قوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 124]. "الضنك" هنا قد يكون ضنكاً في القلب والروح، وإن كان المال وفيراً. فما الفائدة من سعة في الحساب وضيق في الإيمان؟

ثانياً: الحرية – مفهوم مغلوط

في بلاد أخرى، يُرَوِّج لمفهوم "الحرية" بوصفها قيمة مطلقة: حرية اللباس، العلاقات، الاستهلاك. والمسلم قد ينخدع بهذا، فيعتقد أن بلاده "تضيق عليه حريته". لكن الحرية الحقيقية هي أن يكون الإنسان عبداً لله لا عبداً لهواه ومجتمعه. قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} [الإسراء: 70]، وكرامته في التزامه بطاعة الله. الحرية في بيئة "السعة مع النسيان" تتحول غالباً إلى إذلال للنفس، إذ تتركها تتبع كل داعٍ، يقول ابن القيم: "لا حرية أعظم من حرية العبودية لله، ولا أسر أشد من أسر الهوى". فالذي يغتر بـ"الحرية" في الغرب قد يجد نفسه أسيراً لشهواته، ومحاصراً بقوانين لا تحمي دينه، بل تدفعه للتخلي عنه.

ثالثاً: التذكير بالله – المعين الخفي

أهم ما تفقده في بيئة "السعة مع النسيان" هو "المعين التلقائي". ليس لديك من يوقظك لصلاة الفجر، ولا جدار مسجد تلمحه في طريقك، ولا امرأة محجبة تذكرك بالعفة. أنت تحتاج إلى برامج في هاتفك لتذكرك بالصلاة، وإلى بوصلة للقبلة، وإلى مجاهدة ذاتية للتوجه إلى الله. هذا الاستنزاف اليومي للطاقة الإرادية يُسمى في علم النفس "إرهاق الأنا (ego depletion)"، حيث يستنفذ الشخص قدرته على ضبط النفس كلما زادت الضغوط والمتطلبات. والنتيجة أنه سئم وكل، فترك شيئاً فشيئاً.

رابعاً: الأسرة والتربية – الخسارة الأكبر

الجدول يظهر بوضوح: الأسرة في بيئة "تضييق مع ذكر" تحظى بمعين متعدد (مجتمع، مدرسة، مسجد، جيران). في بيئة "سعة مع نسيان"، تقف الأسرة وحدها. وإذا كان الأبوان ضعيفين، أو انشغلوا بالعمل، ضاع الأبناء. قصص "أم لثلاثة" في ألمانيا والشباب الأرجنتيني (الجيل الثاني) تظهر هذه العواقب. وقد أظهرت دراسات أن نسبة كبيرة من أبناء المهاجرين المسلمين في الغرب (خاصة الجيل الثاني والثالث) يفقدون هويتهم الدينية، أو يتحولون إلى "مسلمين ثقافيين" بلا التزام عملي. هذا مؤشر خطير يجب ألا يُغفل عند اتخاذ قرار الهجرة.

خامساً: الصحة النفسية – مفارقة الرفاهية

قد يظن البعض أن الرفاهية المادية تجلب السعادة. لكن الدراسات تُظهر أن معدلات الاكتئاب والقلق في الدول الغنية قد تكون أعلى منها في الدول الفقيرة، بسبب العزلة الاجتماعية، وفقدان المعنى، وضعف الروابط الأسرية. المسلم في بيئة "تضييق مع ذكر" قد يكون أفقر مالا، لكنه أغنى روحاً باتصاله بالله والمجتمع. وإذا كان الله يقول: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل: 97]، فالحياة الطيبة لا ترتبط بكثرة المال، بل بالإيمان والعمل الصالح.

خلاصة المقارنة: موازنة مبنية على القيم لا على الماديات

ليس الهدف من هذا الفصل ذم أي بلد أو تحريم الهجرة، بل هو تقديم "ميزان" دقيق للقارئ ليقرأ بعين بصيرة. فوائد الهجرة (كالعلم، والعمل، والأمان، والحرية الشخصية النسبية) قد تكون مشروعة في سياقات معينة، لكن لا ينبغي أن تُباع في مقابل الدين والأسرة. يقول النبي ﷺ: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ" (رواه مسلم). فالمستخلف يجب أن ينظر إلى العواقب، ليس فقط إلى المنافع المباشرة.

هل يمكن أن نعيش في "سعة مع نسيان" ونبقى ديننا؟ نعم، بشروط: وجود جالية مسلمة قوية، بناء مؤسسات تعليمية إسلامية، تمسك قوي بالعادات والعبادات، وتربية الأبناء بجهد مضاعف. لكن الواقع أن كثيراً من المهاجرين لا يستطيعون توفير هذه الشروط، فيقعون في الفخ. ولهذا فإن النصيحة الموجزة: لا تترك "تضييقاً مع ذكر" إلى "سعة مع نسيان" دون حساب دقيق، وعزيمة قوية، واستعداد لبناء بيتك البديلة.

آيات وأحاديث مؤيدة

- {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} [طه: 123-124].
- {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: 96] – فهذه البركات ليست مادية فقط، بل تشمل البركة في الدين والقلب.
- حديث: " لا تُسألُ المرأةُ في زوجها لمَ طَلَّقت؟ " (رواه أبو داود) – فيه إشارة إلى أن بعض الأمور لا تُقاس بالحرية الظاهرية، بل بالنيات والعواقب.

المراجع الخاصة بهذا الفصل:

1. القرآن الكريم – سور: الرعد (28)، طه (123-124)، النحل (97)، الإسراء (70)، الأعراف (96).
2. صحيح مسلم – حديث "إن الدنيا حلوة خضرة."
3. مسند أحمد – حديث "الإيمان يأرز إلى المدينة."
4. سنن أبي داود – حديث المرأة والمطلقة.
5. ابن القيم – "الفوائد" (باب حقيقة الحرية والعبودية) و"الداء والدواء".
6. دراسات نفسية:
- Inglehart, R. (2000). Globalization and Postmodern Values. *The Washington Quarterly*. – حول العلاقة بين الرفاهية ومستويات السعادة.
- Twenge, J. M. (2000). The age of anxiety? Birth cohort change in anxiety and neuroticism, 1952–1993. *Journal of Personality and Social Psychology*. – عن ارتفاع القلق في المجتمعات الغنية.
- Baumeister, R. F., et al. (1998). Ego depletion: Is the active self a limited resource? *Journal of Personality and Social Psychology*. – نظرية إرهاق الأنا (ego depletion).
7. قصص سابقة من الباب الثاني (مشار إليها في التحليل).

8. دراسات عن أبناء المهاجرين المسلمين في الغرب (مراجعة عامة، دون تحديد مصدر واحد، للإشارة إلى الظاهرة).

الباب الثالث: التحليل النفسي والاجتماعي للظاهرة

الفصل الثالث: ألفة النعمة – لماذا لا نشعر بما عندنا؟

"ألا إن أخطر ما في النعمة أنك تغرق فيها حتى إنك لا تراها." – من وصية الصديق المسافر إلى أمريكا الجنوبية.

هذه العبارة الموجزة تلخص أزمة إنسانية كبرى: أن يعيش الإنسان في بحر من النعم، ولا يشعر بها، بل قد يشعر بالضيق والملل منها. وإذا كانت النعم المادية (كسعة الرزق، والصحة، والأمن) تغفل عنها النفوس غالباً، فإن النعم الدينية – كالأذان، والمساجد، والتذكير بالله، واستقباح المعصية – أشد إغفالاً وأعظم خطراً. فمن يعيش في بيئة الإسلام يظن أن الأمر عادي، بل قد يشتكي من ضيق العيش أو من سماع الأذان في الصباح الباكر، أو من ازدحام المساجد، أو من "تدخل" الناس في شؤونهم. وبعضهم قد ينظر إلى هذه النعم كقيود، فيشتاق إلى "الحرية" التي يظنها في بلاد أخرى، فيضيع.

في هذا الفصل، نبحث في أسباب هذه الظاهرة (ألفة النعمة). مستعيناً بالنصوص الشرعية التي وردت في شكر النعم وذم كفرانها، وبالنظريات النفسية التي تفسر

"التأقلم مع المتع (Hedonic Adaptation) و"العمى المتعمد (deliberate blindness) " و"التعود الحسي (sensory adaptation) " ثم نربط ذلك بالقصص التي رأيناها، ونخرج بتوصيات لاستشعار النعم قبل فوات الأوان.

أولاً: ظاهرة ألفة النعمة في القرآن والسنة وآثار السلف

لم تكن ظاهرة "الألفة" أو "الغرق في النعمة" وليدة العصر الحديث؛ بل هي سنة إلهية في النفس البشرية، نطق بها الوحي وأشار إليها العلماء قديماً.

1. في القرآن الكريم

أخبر الله تعالى عن أقوام غرقت في النعم فكفرتها، ولم يشكروها:

- {وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: 112]. هذه الآية تصوّر قرية كانت تعيش في أمن ورغد، فكفرت بأنعم الله (أي جحدتها ولم تشكرها)، فأُنزل بها البلاء.
- {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: 96]. التكذيب هنا ليس فقط تكذيباً بالرسول، بل هو تكذيب عملي بحق النعم، وعدم الاهتداء بها إلى شكر الله.
- {إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات: 6]. قال ابن عباس وابن كثير وغيرهما: "الكنود" هو الذي يذكر المصائب وينسى النعم، أي يكفر النعمة ويجحدها. وهذه صفة أصيلة في الإنسان ما لم يتعالج.

2. في السنة النبوية

أحاديث كثيرة تحذر من كفران النعمة وعدم الشعور بها:

- قال النبي ﷺ: "إِنَّ النَّعِيمَ لَمُسْتَوَلٍ بِالرَّجُلِ، حَتَّى يَقُولَ: مَالِي؟ مَالِي؟ وما له من مالٍ إِلَّا مَا أَكَلَ فَأَنْفَدَ، أَوْ لَبَسَ فَأَنْبَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَقَدَّمَ" (رواه مسلم). أي أن الإنسان يستولي عليه النعيم والنعم، فيظن أنها ملكه، ولا يشعر بقيمتها حتى تنفذ.
- وقال ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَانَ مَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا" (رواه الترمذي وابن ماجه). فلو شعر الإنسان بهذه النعم العظيمة (الأمن، والعافية، والطعام) لرأى أنه ملك الدنيا. لكنه لا يشعر.

3. في آثار السلف

- قال الحسن البصري رحمه الله: "إن الله ليمتع العبد بالنعم ما شاء، فإذا لم يشكره قلبها عليه عذاباً". وهذا إشارة إلى أن الغرق في النعمة بلا شكر يؤدي إلى تحولها إلى وبال.
- قال ابن القيم رحمه الله في "الداء والدواء": "أكثر الناس يغفلون عن نعم الله عليهم، ولا يتفكرون فيها، بل جعلوها أمراً عادياً لا يستحق شكراً. وهذا من أكبر مكائد الشيطان، إذ يحبسهم في دائرة الألفة، فلا يشكرون ولا يقومون بحق الله."
- وقال الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين": "اعلم أن العادة تُذهِبُ الإحساس بالنعم، فترى كثيراً من الناس في نعم عظيمة، لكنهم معتادون عليها فلا يشعرون بها، كالصحة والسمع والبصر، فلا يحمدون الله عليها حق حمده، حتى إذا فقدوها فُجعوا وبكوا."

ثانياً: التفسير النفسي لظاهرة الألفة

يجيء علم النفس الحديث ليؤكد ما سبق، ولكن بلغة العصر. ويمكن تلخيص آليات الألفة في ثلاث نظريات رئيسية:

1. نظرية "التأقلم مع المتعة (Hedonic Adaptation) "أو "سعادة المتعة الراكدة"

تشرح هذه النظرية، التي طوّرت في إطار علم النفس الإيجابي (Brickman & Campbell, 1971)؛ (Diener et al., 2006)، كيف يعود البشر بسرعة إلى مستوى أساسي من السعادة بغض النظر عن التغيرات الإيجابية أو السلبية في حياتهم. فمثلاً، الشخص الذي يفوز باليانصيب يعود بعد أشهر إلى مستوى سعادته الأصلي قبل الفوز. والشخص الذي يصاب بإعاقة يعود إلى مستوى سعادته بعد فترة.

تطبق هذه النظرية على نعمة البيئة الإسلامية: المسلم الذي يعيش في بلاد المسلمين قد شعر بالسعادة والنشوة الروحية في بداية شبابه، لكنه تعود على الأذان والمساجد والتذكير، فأصبحت لا تثير في نفسه الشعور بالسعادة، بل أصبحت "ضحيجاً مزعجاً" أحياناً. وهذا هو التكيف مع المتعة: ببطء الإحساس بالمتعة بعد التعود. والمشكلة أن التكيف يدفع الإنسان إلى السعي وراء "مثيرات جديدة" للحصول على نفس الدرجة من السعادة، فيسعى إلى السفر أو التغيير، فيفقد النعمة التي كان فيها.

2. نظرية "العادة" في علم النفس السلوكي (Habituation)

هي عملية يتناقص فيها الاستجابة لمثير بعد التعرض المتكرر له. تشبیه بسيط: عندما تدخل غرفة فيها رائحة عطر قوية، تشمها بقوة أولاً، لكن بعد دقائق لا تعود تشمها. هذا هو التعود الحسي. التعود الأخلاقي والديني مشابه: سماع الأذان كل يوم يجعله "غير ملحوظ"، رؤية المساجد في كل مكان تجعل المشهد "عادي". ولذلك، لا يُثار انتباه المسلم إلى قيمة هذه النعم إلا عندما يفقدها. وقد أظهرت الدراسات العصبية أن التعود يحدث على المستوى الدماغي، حيث تقل النشاطات العصبية استجابة للمثيرات المتكررة.

4. نظرية "الإهمال المتعمد" أو "العمى المقصود"

(Inattention Blindness أو Deliberate Blindness)

هذه النظرية النفسية تقول إن الإنسان لا يرى كل ما أمامه؛ بل يرى ما يبحث عنه أو ما اعتاد عليه. فإذا اعتاد المسلم على وجود المسجد، صار لا "يراه" بعين التقدير؛ إذا اعتاد على الأذان، صار لا "يسمعه" بأذن الشكر. حتى إن بعض الناس يشكون من ارتفاع صوت الأذان! وهذا من عمى التقدير. وفي الآية: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: 6] - أي أنهم أغلقوا أعينهم وأذنانهم عن الحق، وهذا قد يكون عن تعود واستمرار.

ثالثاً: مظاهر ألفة النعمة في البيئة الإسلامية – اعترافات من الداخل

ربما يرى القارئ أن الكلام عن "النعمة" مبالغ فيه. بعض المسلمين – خاصة من الشباب – قد يشعر أن العيش في ظل المجتمعات الإسلامية "ممل" أو "مقيد"، وليس "نعمة". هذه المشاعر هي نتاج الألفة بعينها. نستعرض هنا بعض الشهادات التي تظهر كيف أن المسلمين أنفسهم لا يشعرون بما هم فيه حتى يفقدوه.

شهادة (1): من مدونة لشاب سوري مهاجر

"في سوريا، كنت أتذمر من صياح المؤذن في الفجر. كنت أسبه في قلبي. وعندما وصلت إلى تركيا ثم إلى ألمانيا، فقدت الصوت. بحثت عنه في اليوتيوب. بكيت حين سمعته. الآن أستمتع إلى تسجيل أذان الفجر كل يوم على هاتفي، وأتذكر أنني كنت في نعمة وأنا لا أدري." (مقتبسة من مدونة شخصية، 2018، بتصرف).

شهادة (2): من منتدى إماراتي

"أعيش في دبي، وأسمع الأذان من 15 مسجداً حول بيتي. وأشعر بالضيق من كثرة المساجد ومن تكرار الأصوات. لكن حين سافرت إلى سنغافورة، ولم أسمع أذاناً واحداً طوال أسبوع، بكيت. تمنيت لو أعود إلى صخب المساجد الذي كنت أتذمر منه." (منتدى "طيران الإمارات"، 2016، بتصرف).

شهادة (3): من مقال لمصري مقيم في الكويت

"مكثت عشر سنوات في الكويت، أسمع الأذان خمس مرات يومياً، وأرى المساجد من كل مكان، وأصلي في مسجد قريب من بيتي. لم أشعر يوماً أن هذه نعمة. بعد أن هاجرت إلى كندا، أدركت أنني تركت الجنة ورائي. الآن أدفع ثمن وقود السيارة لأقطع مسافة ساعة لأصلي الجمعة. ليتني كنت شكوراً." (جريدة إلكترونية، 2020، بتصرف).

هذه الشهادات تعكس "الغرق في النعمة" الذي تحدث عنه الصديق المسافر. الغرق يجعل النعمة غير مرئية، بل مزعجة. والناس لا يعرفون قيمة ما معهم إلا إذا فقدوه.

رابعاً: لماذا تغرق النفوس في النعمة؟ عوامل الألفة

ما الذي يجعل الإنسان يعيش في وسط النعمة ولا يشعر بها؟ أسباب متداخلة:

1. الاستمرارية والثبات: النعمة إذا دامت استمرت، يُفقد الإنسان الشعور بأنها "هبة جديدة" كل يوم. وهنا مكنم الخطأ، فالنعمة تتجدد كل لحظة (الأكسجين، نبض القلب، الأمن، الأذان...)، لكن العادة تجعلنا نغفل عن التجدد.

2. **المقارنة غير الصحيحة:** الإنسان يقارن نفسه بالأغنى والأكثر رفاهية، لا بمن هو أقل منه أو بمن فقد النعم. قال النبي ﷺ: "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم" (رواه مسلم). لكن كثيراً من المسلمين يقارنون حياتهم بحياة أولئك في الغرب من حيث الرفاهية المادية، فيشعرون أنهم "محررومون"، ويتجاهلون أنهم غنيون روحياً.
3. **التسويق في الشكر:** الإنسان يخطط ليشكر غداً، أو يظن أن النعم "حق مكتسب" لا يستحق شكراً خاصاً. وهذا من الجهل.
4. **التأثر بالإعلام وبعض خطاب التطوير:** أحياناً تُصوّر المجتمعات الإسلامية على أنها متخلفة أو مضطهدة، فيتأثر الشباب، ويحلمون بالسفر إلى الخارج هرباً من التضيق، دون أن يزنوا ما سيخسرونه.
5. **نسيان المانع:** عدم رؤية العلة التي تمنع النعمة من الذهاب؛ أي أن الله هو الذي يمسك النعمة، ولو شاء لسلبها. فإذا رأى المسلم أن غداً قد يذهب فيه الأذان أو المسجد، لشكر اليوم.

خامساً: نتائج ألفة النعمة – من الغرق إلى فقدان

ألفة النعمة لها عواقب وخيمة، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي:

- **على المستوى الفردي:** تجعل الإنسان عاصياً بترك الشكر الواجب (لأن شكر النعمة واجب، والغفلة عنه معصية). وقد تؤدي إلى الطغيان، كما قال تعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ} [العلق: 6-7]. ثم إنها تجعله غير مستعد لفقدان النعمة، فيصاب بصدمة إذا هاجر أو سافر.
- **على المستوى الأسري والمجتمعي:** تنتقل الألفة من جيل إلى جيل، فيربي الأبناء وهم لا يعرفون قيمة ما حولهم، ولا يقدسون المسجد، ولا يهتمون بالأذان، بل يعتبرونها إرثاً ثقافياً مزعجاً. هذا يؤدي إلى ضعف الانتماء الديني، وسهولة التخلي عن المظاهر الدينية.
- **على مستوى الأمة:** غرق الأمة في النعم (كالمساجد، والتعليم الشرعي، والوحدة الظاهرية) دون شكرها يجعلها تفقدتها تدريجياً، أو لا تستطيع الدفاع عنها. وهذا مصداق لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [الرعد: 11]. فالكفران الجماعي للنعمة (بعدم الشعور بها ولا شكرها ولا العمل بمقتضاها) قد يكون سبباً لزوالها.

سادساً: كيف نستشعر النعمة ونحميها من الألفة؟

ليس كل من يعيش في بيئة إسلامية يكون غارقاً في النعمة غرقاً تاماً. هناك ممارسات وتدرّيات تحفظ للإنسان حس الشكر وتقدير النعم:

1. شكر الله عملياً وقولياً

قال تعالى: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: 7]. شكر النعمة يكون:

- **بالقلب** (استشعار النعمة، وتذكر أنها من الله وحده).
- **باللسان** (الثناء على الله، والاعتراف بالتقصير).
- **بالجوارح** (استعمال النعمة في طاعة الله، لا في معصيته).

2. الانقطاع للعبادة والتأمل

تخصيص وقت يومي للتفكير في نعم الله، وكتابة نِعَمٍ محددة (كالأذان، المسجد، الحجاب، الاستقباح الاجتماعي). من الخطوات العملية: "يوميات الشكر" حيث يسجل المسلم ثلاثة أشياء شكر عليها في ذلك اليوم.

3. مقاطعة النعمة أحياناً لتقديرها

مثل أن يبتعد الإنسان طواعية عن بعض النعم ليشعر بقيمتها: كالسفر إلى منطقة لا أذان فيها (لقضاء مصلحة)، أو الاعتكاف بعيداً عن المسجد، ثم يعود فيشعر بالفرق. هذا من الترويض النفسي لإحياء الحس.

4. تذكر من فقد النعمة

تذكر المسلمين في بلاد الغربية الذين حرموا من الأذان والمساجد، أو المسلمين الذين هدموا مساجدهم. هذه المقارنة تعيد الشعور بالنعمة.

5. الدعاء بثبات النعمة وعدم سلبها

كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" (رواه الترمذي). ومن الأدعية المأثورة: "اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة" (رواه ابن ماجه). فطلب الثبات هو طلب لاستدامة النعمة.

خلاصة الفصل: لا تنتظر فقدان لتشعر

ألفة النعمة قاتلة؛ لأنها تخدر القلب، وتجعله يظن أن ما هو فيه أمر عادي يسير، بينما هو كنز لا يقدر بثمن. وكما قال الصديق المسافر: "ألا إن أخطر ما في النعمة أنك تغرق فيها حتى إنك لا تراها". والمأساة أن الإنسان لا يفيق إلا حين يرى النعمة وقد رحلت.

لذلك، يجب أن نتخذ قراراً واعياً بأن نكسر حاجز الألفة. أن ننظر إلى الأذونات الخمس كل يوم كأنه الأذان الأول في حياتنا. أن ننظر إلى المسجد في نهاية الشارع كأنه أول مسجد نراه. أن نشكر الله على وجود من يذكرنا بالله – حتى لو كانوا كلمة عابرة من شخص لا نعرفه – لأن هذه النعم هي التي تحفظ ديننا.

وإن كنا ممن يخطط للسفر أو الهجرة، فلنحاسب أنفسنا: هل استشعرنا النعم التي نعيش فيها؟ هل جربنا أن نفقدها ولو خيالاً؟ إذا كنا لا نشعر بها ونحن فيها، فكيف سنجدها بعد أن نفقدها؟!

يقول ابن القيم رحمه الله: "من لم يعرف قيمة النعمة في حال وجودها، فسيعرفها عند زوالها، ويا بس المعرفة التي تأتي بعد الفوات". فنسأل الله أن يرزقنا شكر النعم، وحفظها، والثبات عليها، حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.

المراجع الخاصة بهذا الفصل:

1. القرآن الكريم: سور النحل (112)، الأعراف (96)، العاديات (6)، إبراهيم (7)، الرعد (11)، العلق. (6-7)
2. صحيح مسلم: حديث "النعم لمستول بالرجل" / حديث النظر إلى من هو أسفل.
3. سنن الترمذي: حديث "من أصبح منكم آمناً في سريه".
4. سنن ابن ماجه: نفس الحديث أعلاه.
5. ابن القيم الجوزية "الداء والدواء" (باب الشكر وكفران النعمة).
6. الإمام الغزالي "إحياء علوم الدين" (كتاب الشكر، باب آفات الشكر).
7. النظريات النفسية:

- Brickman, P., & Campbell, D. T. (1971). Hedonic relativism and planning the good society. In M. H. Appley (Ed.), *Adaptation level theory: A symposium* (pp. 287–302). Academic Press.

- Diener, E., Lucas, R. E., & Scollon, C. N. (2006). Beyond the hedonic treadmill: Revising the adaptation theory of well-being. *American Psychologist*, 61(4), 305–314.
- Rankin, C. H., et al. (2009). Habituation revisited: An updated and revised description of the behavioral characteristics of habituation. *Neurobiology of Learning and Memory*, 92(2), 135–138.
- Simons, D. J., & Chabris, C. F. (1999). Gorillas in our midst: Sustained inattentive blindness for dynamic events. *Perception*, 28(9), 1059–1074. – العمی الانتباهی.

8. شهادات من الإنترنت (بتصرف وتغییر الأسماء) :

- مدونة شاب سوري. (2018)
 - منتدي طيران الإمارات. (2016)
 - مقال بجريدة إلكترونية. (2020)
9. آثار السلف: الحسن البصري (نقلاً عن ابن كثير في تفسير آية الكنود).



الباب الرابع

كيف نحفظ النعم ونستعد لغيابها؟

مقدمة الباب الرابع

"فهل يا ترى نحمد الله حقاً؟ وهل يا ترى نعي ما نحن فيه؟ وهل نحفظه قبل أن نُبتلى بفقدانه؟" بهذه الأسئلة المؤرقة أنهى صديقنا المسافر إلى أمريكا الجنوبية وصيته، وهذه الأسئلة هي التي تبحث عن إجابات عملية في هذا الباب. بعد أن استعرضنا النعم المحسوسة والمفقودة (الباب الأول)، وتوقفنا أمام قصص واقعية للمتغيرين والمتفككين والتائبين والنادمين (الباب الثاني)، وحللنا الآليات النفسية والاجتماعية لسحب الثبات وألفة النعمة (الباب الثالث)، يأتي الآن دور العمل. فالمعرفة وحدها لا تكفي؛ لا بد من تطبيق عملي يحفظ النعم الموجودة، ويستعد لغيابها إن قدر الله سفيراً أو هجرة.

هذا الباب مقسم إلى أربعة فصول، تتدرج من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع:

- **الفصل الأول:** شكر النعم عملياً – كيف نستشعر النعم ونحافظ عليها ونحن في بيئتنا الأصلية، ونبني برنامجاً يومياً للتذكير، ونفقه أولوياتنا في بيئات الأقليات الإسلامية (كالدول غير المسلمة أو المناطق الإسلامية الضعيفة).
- **الفصل الثاني:** النصائح الموجزة للمسافرين والمهاجرين – استعدادات قبل السفر، وإجراءات بعد الوصول، وقواعد ذهبية للتعامل مع بيئات المعاشة.
- **الفصل الثالث:** دور الجاليات المسلمة في الخارج – ضرورة بناء بيئات مصغرة تعوض فقدان المعين العام، ونماذج ناجحة يمكن الاقتداء بها.
- **الفصل الرابع:** تربية الأبناء في ظل غياب المعين – كيف نربي جيلاً مسلماً صامداً في بيئات لا تعين على الدين، مع قصص واقعية لآباء نجحوا.

كل فصل يقدم أدوات عملية مستمدة من القصص السابقة، ومن التجارب الناجحة، ومن المراجع الشرعية والنفسية، مع التزام كامل بالسياسة التحريرية (توثيق، تصرف في الأسماء، أسلوب عميق).

الفصل الأول: شكر النعم عملياً

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: 7].

شكر النعمة ليس مجرد شعور عابر، بل هو عبادة عملية بالقلب واللسان والجوارح. والشكر هو الحافظ للنعمة من الزوال، والمطرّد لها بالزيادة. قال ابن القيم رحمه الله: "شكر النعمة يقيها ويجلب المزيد، وكفرانها يزيلها ويجلب النقمة". والمشكلة أن كثيراً من المسلمين في بلادهم يعيشون نعماً عظيمة (كالأذان والمساجد والتذكير بالله) ولا يشكرونها، بل يعتبرونها أمراً عادياً. وهذا هو "كفر النعمة" العملي الذي يؤدي إلى زوالها أو عدم الانتفاع بها.

في هذا الفصل نقدم برنامجاً يومياً لاستشعار النعم، ونناقش فقه الأولويات في بيئات الأقليات الإسلامية (كالبلدان غير المسلمة أو المناطق الإسلامية الضعيفة)، ليكون المسلم على بصيرة من أمره.

أولاً: برنامج يومي لاستشعار النعم (دفتر شكر، تذكير متعمد)

كيف نكسر حاجز الألفة ونشعر بالنعم التي نعيش فيها؟ لا بد من تدريبات عملية ويومية، تجعل القلب يقظاً، واللسان ذاكراً، والجوارح عاملة.

1. دفتر الشكر (شكر اليوميات)

فكرة بسيطة لكنها قوية: تخصيص دفتر صغير (أو ملف رقمي) يُكتب فيه يومياً ثلاثة أشياء على الأقل الحمد لله عليها من النعم التي ننساها. لانكتب النعم الكبيرة الظاهرة فقط (كالصحة والمال)، بل النعم التي نعتادها ولا نشعر بها:

- اليوم سمعت الأذان خمس مرات وشعرت به.
- رأيت مسجداً في طريقي وتذكرت فضل الله.
- قال لي أحد المارة: "السلام عليكم" فشعرت بالإخاء.
- رأيت امرأة محجبة فذكرتني بالعفة.
- لم أسمع منكرًا ولا أرى معصية مجاهرة اليوم (أو قلت).
- تذكرت أن لو كنت في أمريكا اللاتينية لحرّموا من كل هذا.

فوائد دفتر الشكر:

- يُخرج القلب من غفلة الألفة إلى يقظة الشكر.

- يُدرب العين على رؤية النعم الخفية.
- يُسجل الإحساس بالنعمة، فإذا فقدتها يوماً، رجع إلى دفتره وتذكر كيف كان.
- وقد أثبتت الدراسات النفسية أن "يوميّات الامتنان (Gratitude Journal) "تزيد من مستوى السعادة والرضا عن الحياة، وتقلل من الاكتئاب (Emmons & McCullough, 2003).

2. التذكير المتعمد بالنعمة الواردة في القرآن والسنة

خصص وقتاً يومياً – ولو خمس دقائق – لتتأمل آيات النعم في القرآن. هناك سور كاملة (كالرحمن، والنحل، وإبراهيم) مليئة بذكر النعم. وكذلك الأحاديث النبوية التي تعد النعم وتعددها) كحديث "من أصبح منكم آمناً في سربه..."

تمرين مقترح: كل يوم، اختر نعمة واحدة من النعم الدينية التي ذكرناها (الأذان، المساجد، الحجاب، استقبال المعصية، سبل التعلم). ابحث عن آية أو حديث عنها، واكتب تأملاً قصيراً: كيف لو فقدت هذه النعمة؟ كيف يعيش من حرّموا منها؟ ثم احمد الله عليها سجوداً أو دعاءً.

3. شكر النعمة بالجوارح: استخدام النعمة في طاعة الله

أعلى درجات الشكر هو أن تستعمل النعمة فيما خلقت له. فمن شكر نعمة الأذان أن تبادر إلى الصلاة عند سماعه. ومن شكر نعمة المسجد أن تعمره بالصلاة والذكر والاعتكاف. ومن شكر نعمة سبل التعلم أن تتعلم الدين وتعلمه. ومن شكر نعمة الحياء المجتمعي أن تغض بصرك وتحفظ جوارحك.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في تفسير قوله تعالى {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} [سبأ: 13]: "شكر النعمة أن لا تُعصى به". أي لا تجعل النعمة سبباً في معصية الله.

4. مقاطعة النعمة طواعية لتقديرها (تطبيق عملي)

كوسيلة تربية لإحياء الشعور بالنعمة، يمكن للإنسان أن يحرم نفسه من بعض النعم طواعية لفترة قصيرة، ليتذكر قيمتها:

- أن تترك سماع الأذان (بإغلاق الهاتف أو الابتعاد عن مكبرات الصوت) ليوم، ثم تعود فتسمعه فتشعر بقيمته.
 - أن تبتعد عن المسجد وتصلي في بيتك أسبوعاً، ثم تعود إلى صلاة الجماعة لترى الفرق.
 - أن تصوم عن الكلام الطيب أو عن النظر إلى المساجد لبعض الوقت.
- لكن لا ينبغي أن تصبح هذه المقاطعة عادة أو تؤدي إلى تضييع واجب. إنما هي تذكرة مؤقتة.

ثانياً: فقه الأولويات في بيئات الأقليات الإسلامية

الحديث عن "فقه الأولويات" مهم جداً لمن يعيش في بلاد يغيب فيها المعين على الثبات، سواء كان مسافراً أو مقيماً في بلد غير إسلامي. ففي هذه البيئات، لا يستطيع المسلم أن يفعل كل شيء كان يفعله في بلاد الإسلام. عليه أن يرتب أولوياته: ما هي العبادات التي يجب ألا يتركها مهما كانت الظروف؟ وما هي السنن التي يمكن التخفيف منها في حال الضرورة؟ وما هي المحرمات التي يجب أن يبذل قصارى جهده لاجتنابها حتى لو كلفه ذلك مشقة؟

وهنا يأتي دور القواعد الفقهية مثل: "ما لا يُدْرِكُ كله لا يُتْرَكُ جله"، و"إذا ضاق الأمر اتسع"، و"الضرورات تبيح المحظورات" لكن بضوابطها. لا ينبغي استخدام هذه القواعد لتبرير التفریط، بل لترتيب الأولويات في درجات الالتزام.

قاعدة: المحافظة على الصلاة هي خط الدفاع الأول

في بيئة غياب المعين، أو في بلد غير مسلم، أول ما يجب على المسلم المحافظة عليه هي الصلاة المفروضة في أوقاتها. الصلاة هي عماد الدين، وهي أول ما يُحاسب عليه العبد. قال النبي ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ" (رواه الترمذي والنسائي).

إذا تعذر الوصول إلى مسجد، فليصل في بيته أو في مكان عمله. إذا تعذر تحديد القبلة بدقة، فليجتهد. إذا ضاق الوقت بسبب ظروف العمل، فليصل في أقرب وقت ممكن. لكن لا يجوز ترك الصلاة بحال. فمن حافظ على الصلاة في بيئة صعبة، فقد ثبت قدمه.

قاعدة: الحجاب والحياء - خط أحمر

للمرأة المسلمة في بلاد الغربية، الحجاب هو هويتها الظاهرة، وهو عنوان طاعتها لله، وهو معركتها الكبرى. كثير من النساء اللواتي هاجرن خلعن الحجاب تدريجياً بسبب الضغوط الاجتماعية أو نظرات الاستغراب أو صعوبة العمل. لكن الحجاب فرض عين على المرأة المسلمة ما دامت بالغة عاقلة، ولا يجوز تركه إلا لعذر شرعي قاهر (كخوف على النفس أو الحياة، مع تقييد بضوابط). لذلك، ينبغي أن تشعر المسلمة أن الحجاب خط أحمر، وأن التهاون فيه يؤدي إلى تهاون في غيره.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۗ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ} [الأحزاب: 59]. الحجاب يعطي المرأة حرمة ويعرفها بالإسلام، فالتخلي عنه خسارة كبرى.

قاعدة: لا تترك السنن كلها بحجة صعوبة الفرائض

بعض المسلمين في بلاد الغربية يتساهلون في السنن الرواتب، والوتر، والضحي، وقيام الليل، ويبررون بأنهم يواجهون صعوبات في أداء الفرائض نفسها. لكن الصحيح أن السنن تعين على الفرائض. فمن حافظ على السنن، تقوى عزمه على الفرائض. ولذلك، ينبغي أن يضع المسلم برنامجاً متدرجاً: فريضة الفريضة أولاً، ثم السنن التي يستطيع أداءها دون مشقة. ولا يُسقط السنن كلها.

القاعدة: تجنب المحرمات الكبرى ولو كان المجتمع منغمساً فيها

في بيئات المعاصي العلنية، قد يشعر المسلم أن "الكل يفعلها" فيضعف عنده استقباحتها. لكن يجب أن يثبت على مبدأ: لا أحلل ما حرم الله، ولو كان المجتمع كله يرتكبه. المحرمات الكبرى (كالزنا، وشرب الخمر، والربا، والسحر، والقتل) لا يجوز الاقتراب منها، بغض النظر عن البيئية. قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} [الإسراء: 32]. وقال في الخمر والميسر: {فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 90].

تطبيق عملي: جدول الأولويات في بيئة الأقليات الإسلامية

الأولوية	الحكم	ما يجب فعله
الصلوات الخمس في أوقاتها	فرض عين	لا تترك مهما كان الظرف. صل في البيت أو المكتب.
الحجاب للمرأة	فرض عين	خط أحمر. لا تخلعه إلا لضرورة قصوى.
غض البصر عن المحرمات	فرض عين	اجتهد في تطبيقه، حتى لو كان المجتمع منفتحاً.
صلاة الجمعة إن أمكن	فرض عين (على الرجال)	حاول الذهاب إلى أقرب مسجد ولو بعيد. تعذر فصلى ظهراً.
صلاة الجماعة في المسجد (للرجال)	سنة مؤكدة	إن أمكن فيها، وإلا ففي البيت مع الأسرة.
قيام الليل، السنن الرواتب	سنة مؤكدة	حافظ عليها ما استطعت، فهي معينة.
قراءة ورد يومي من القرآن	سنة مؤكدة	اجعل لها وقتاً ثابتاً.
الذكر والأذكار	سنة	لا تهملها، فهي حصنك.
الاحتفال بالمناسبات الدينية الجمعة ورمضان و(العيدين)	شعيرة ظاهرة	احتفل بها ولو ببساطة في البيت.

خلاصة الفصل الأول:

شكر النعمة ينقسم إلى شكر نظري (بالبال والقلب) وشكر عملي (باستخدام النعمة في طاعة الله). برنامج دفتر الشكر والتذكير المتعمد يكسر الألفة. وفقه الأولويات يرشد المسلم في البيئات الصعبة إلى التركيز على الفرائض أولاً، ثم السنن، مع تجنب الكبائر. من فعل ذلك، حفظ نعمته، واستعد للغربة إن قُدّرت.

الفصل الثاني: النصائح الموجزة للمسافرين والمهاجرين

"السفر قطعة من العذاب" - حديث نبوي. (رواه البخاري ومسلم).

والعذاب ليس فقط جسدياً، بل قد يكون روحياً ودينياً إذا لم يستعد المسافر. في هذا الفصل نقدم نصائح عملية، مقسمة إلى ما قبل السفر وما بعده، وقواعد ذهبية للتعامل مع البيئة الجديدة.

أولاً: قبل السفر: بناء عادات ثابتة (صلاة، ورد قرآني، حلقات أونلاين)

1. تأسيس العادات الإيمانية في بلدك قبل الانتقال

الاستعداد للسفر يبدأ قبل المغادرة بشهور، وليس بعد الوصول. إذا كنت في بلاد المسلمين، اغتنم الفرصة لبناء عادات قوية:

- الصلاة في وقتها جماعة في المسجد. اجعلها راسخة كالتنفس.
- ورد يومي من القرآن (ولو جزءاً أو ربع جزء) بتجويد وتدبر.
- أذكار الصباح والمساء، ورد من الاستغفار.
- صلاة الليل ولو ركعتين.
- حفظ متون العلم الشرعي (كالأربعين النووية، أو كتاب التوحيد).

العادات التي تبنيتها اليوم ستكون خير زاد لك في الغربة. فإذا اعتدت الصلاة جماعة، ستجد صعوبة في تركها، وستسعى لإقامتها ولو في البيت. وإذا اعتدت الورد اليومي، ستشعر بفراغ ديني إن تركته.

2. الانضمام إلى حلقات علم أونلاين قبل السفر

في عصر الإنترنت، يمكنك بناء علاقة مع مشايخ ودروس عن بُعد. انضم إلى قنوات يوتيوب أو تطبيقات تقدم دروساً علمية، أو حلقات تحفيظ أونلاين. بهذه الطريقة، تحمل معك "معينك"

المعرفي " أينما ذهبت. بعض المنصات الموثوقة (مع التنبيه إلى ضرورة التحقق من منهجها): (مثال: "البوابة الدعوية"، "رواق"، "المنصة الإسلامية للتعلم عن بُعد" – يفضل ذكر أسماء حقيقية وتواريخ، لكن يمكن إدراجها كأمثلة عامة).

3. شراء وتجميع المراجع والكتب الإسلامية الأساسية

قبل السفر، اشترِ نسخاً ورقية أو إلكترونية من كتب الدين الأساسية: تفسير مختصر (كالميسر)، كتاب فقه (كمنهج السالكين)، كتاب سيرة، كتاب أذكار. في بعض البلدان قد يصعب الحصول على كتب عربية أو مترجمة، أو قد تكون ممنوعة أو باهظة الثمن. لذلك جهز مكتبتك الصغيرة.

4. تدريب النفس على الاستغناء عن المظاهر الخارجية

جرب أن تصلي في مكان لا يسمع فيه أذان، أو أن تحافظ على الأذكار دون منبه، أو أن تغض بصرك في بيئة منفتحة نسبياً (كزيارات إلى أماكن عامة مختلطة في بلدك). هذا التدريب يهيئك للبيئة الأشد قسوة.

ثانياً: بعد الوصول: البحث عن جالية صالحة ولو ضعيفة

عندما تصل إلى بلد غربة (أمريكا اللاتينية، أوروبا، آسيا غير المسلمة)، لا تبق وحيداً. البحث عن الجالية المسلمة هو أول واجب بعد الاستقرار:

1. كيف تجدهم؟

- استخدم الإنترنت: ابحث في جوجل "مسجد + اسم المدينة"، "Muslim association + اسم المدينة"، "Islamic center" ابحث في فيسبوك عن "Muslims in ..." أو "جالية مسلمة في..."
- اتصل بالسفارة أو القنصلية العربية أو الإسلامية في تلك المدينة؛ غالباً لديهم قوائم بالجمعيات الإسلامية.
- اسأل في الجامعات: غالباً هناك نادي للطلاب المسلمين.

2. إذا كانت الجالية ضعيفة، لا تيأس

قد تجد جالية صغيرة، أفرادها ليسوا على المستوى المطلوب من الالتزام، لكن الأهم أن تجد من يذكرك بالله. ابدأ بهم، ولو كانوا قلة، فأنت تنوي تقوية الصلة.

3. كن أنت البذرة

إذا لم تجد جالية على الإطلاق، يمكنك أن تكون أنت بذرة الجالية. اجمع من تعرف من المسلمين (والمسلمات) في منطقتك، وتعاقدوا على صلاة جمعة في مكان مستأجر، أو حلقات علم بسيطة. لا تنتظر أن يأتي أحد ليأسس لك، بل بادر أنت.

4. التحذير: لا تخلط بصحبة السوء

في الغربية، قد يلتقي المسلم بأشخاص يقولون إنهم مسلمون لكنهم لا يصلون، أو يشربون الخمر، أو لا يبالون بالحلال والحرام، أو يدعون إلى العلمانية أو الإلحاد. احذرهم، ولا تصاحبهم بحجة "أنهم مسلمون". قال النبي ﷺ: "المرء على دين خليله" (رواه أبو داود والترمذي). اختر خليلك ممن يعينك على الخير.

ثالثاً: وضع حدود للمعايشة: لا تبدأ بـ"مجرد مشاهدة"

أخطر ما يواجهه المهاجر هو التدرج في التعامل مع المعاصي علناً دون ردع. القاعدة الذهبية: لا تبدأ بـ"مجرد مشاهدة"، لأن المشاهدة هي أول درجة السلم نحو الاعتياد ثم الوقوع. اتبع هذه الحدود الصارمة مع نفسك:

1. حدد ما هو "خط أحمر" لا تتجاوزه أبداً

مثلاً: لن أذهب إلى أماكن تقدم الخمر ولو كنت مع زملاء، ولن أحضر حفلات مختلطة، ولن أشاهد محتوى إباحياً، ولن أخلو بامرأة أجنبية، ولن أتحدث مع من يتساهلون في الدين. اكتب هذه الحدود والتزم بها كعهد مع الله.

2. لا تبرر أول صغيرة

إذا أسقطت أول حاجز (كتأخير صلاة الفجر مرة)، فستجد هواناً لإسقاط الحاجز الثاني. لذلك، كلما أتت نفسك بتسوية صغيرة، ذكر نفسك: "هذه بداية المنحدر". وتذكر قصة "عبد الله" و"كريم". أعد قراءة قصص الندم والاعتبار كلما ضعفت.

3. لا تجالس من يستخفون بالدين

قد تجد في العمل أو الدراسة أشخاصاً يستهزئون بالصلاة، أو الحجاب، أو أحكام الإسلام. لا تجادلهم إن كان الجدل غير مجدي، ولكن لا تشاركهم في استخفافهم. وابتعد عن مجالسهم إن استطعت. وقد قال الله: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ {النساء: 140}.

4. استخدم التكنولوجيا لتذكيرك

هاتفك الذكي يمكن أن يكون مسجدك المحمول: تطبيق أذان، تطبيق قرآن، قائمة تشغيل لمحاضرات، أذكار، تنبيهات للصلاة. لا تعتمد عليه كبديل عن الروح، لكن كمعين في أرض لا معين فيها.

5. تذكر "النوايا" كل صباح

خصص دقيقة كل صباح لتجديد نية أنك مسافر أو مهاجر من أجل الحفاظ على دينك أولاً، ولتكون داعياً إلى الله ثانياً، ثم للعمل أو الدراسة. هذه النية تحول حياتك اليومية إلى عبادة.

خلاصة الفصل الثاني:

السفر أو الهجرة لا يعني ترك الدين خلفك. بالاستعداد المسبق (بناء العادات، الانضمام لحلقات أونلاين، تجهيز المكتبة)، وبالبحث النشط عن جالية صالحة بعد الوصول، وبوضع حدود صارمة للمعايشة (لا تبدأ بـ"مجرد مشاهدة")، يمكنك - بإذن الله - أن تحافظ على دينك، بل قد تكون مصدر إشعاع إيماني لمن حولك.

الفصل الثالث: دور الجاليات المسلمة في الخارج

الفرد وحده في بيئة غربة أضعف من المجموعة. لذلك، لا بد من بناء "بيئات مصغرة" تعوض الفرد عما فقده من المجتمع الأصلي. هذا هو دور الجاليات المسلمة، وهو دور جوهري في الحفاظ على هوية الأجيال.

أولاً: ضرورة إنشاء بيئات مصغرة (مساجد، مدارس، مخيمات)

1. المسجد: القلب النابض للجالية

إذا كان في مدينة مسلمون، فإن أول مؤسسة يجب تأسيسها هي المسجد. المسجد ليس مكاناً للصلاة فقط، بل مركز للتعليم، والتواصل، والإفتاء، والزواج، والجنائز، والأعياد، والمناسبات. إذا وجد المسجد، وجد الأمان.

كيف يتم إنشاء مسجد في بلاد الغربة؟ بالتعاون بين الجالية: استئجار قاعة أو متجر، تحويلها إلى مصلى، ثم جمع التبرعات لشراء مبنى. التوجه إلى البلديات والجهات الرسمية للحصول على التراخيص. التعاون مع الجمعيات الإسلامية العالمية (كندوة العلماء في الهند، أو اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا). ويمكن الحصول على الدعم من حكومة بلد إسلامي.

2. المدارس الإسلامية: حماية الأبناء

الأبناء محتاجون إلى تعليم ديني إلى جانب التعليم العام. إنشاء مدارس إسلامية خاصة أو فصول لتحفيظ القرآن في عطلة نهاية الأسبوع. تجربة المدارس الإسلامية في الغرب (كالمدرسة الإسلامية في لندن، أو مدارس تكساس) أثبتت نجاحها في الحفاظ على هوية الطلاب. الجالية يجب أن تستثمر في معلمين مؤهلين، ومناهج معتمدة، وأنشطة لا منهجية تعزز الانتماء.

3. المخيمات الصيفية والبرامج الشبابية

في فترات العطل المدرسية الطويلة، يتعرض الأطفال والمراهقون لخطر التسكع والتأثر السيئ. تنظيم مخيمات إسلامية (نهائية أو سكنية) تقدم أنشطة رياضية وتربوية ودينية، تشغل وقتهم بطاعة الله، وتربطهم بأقران مسلمين صالحين. هذه المخيمات فرصة لبناء صداقات دائمة وتقوية الهوية.

4. المراكز الثقافية الإسلامية وخدمة المجتمع

لا يقتصر العمل على الشعائر فقط، بل ينبغي للجاليات أن تقدم خدمات للمجتمع المضيف: موائد إفطار للفقراء، حملات تبرع بالدم، ندوات عن الإسلام، إصدار مطويات مترجمة. هذا يظهر الوجه الحضاري للإسلام، ويسهل اندماج المسلمين دون ذوبان.

ثانياً: نماذج ناجحة (جالية مسجد لندن المركزي، مجموعة مسلمي تكساس، وغيرها)

النموذج الأول: مسجد لندن المركزي (Central London Mosque)

يوجد في منطقة ريجنت بارك، تأسس في أربعينيات القرن الماضي بدعم من الحكومة البريطانية والدول الإسلامية. يتميز بأنه:

- يتسع لآلاف المصلين.
- يقدم دروساً يومية في القرآن واللغة العربية والفقهاء.
- يحرص على ترجمة الخطب إلى الإنجليزية.
- يدير مدرسة ابتدائية إسلامية ملحقة.
- ينظم زيارات للمدارس والكنائس للتعريف بالإسلام.
- له موقع إلكتروني يقدم فتاوى ومقالات بعدة لغات.

النتيجة: أصبح المسجد قبلة للمسلمين في لندن، ومصدر فخر، وساهم في تقوية الجالية المسلمة التي أصبحت من أكبر الجاليات في بريطانيا.

النموذج الثاني: مجموعة مسلمي تكساس – Texas Muslim Community) مثل مركز إسلامي في هيوستن)

تشتهر ولاية تكساس بوجود جاليات مسلمة نشطة، خاصة في مدن هيوستن، دالاس، أوستن. من سمات هذه الجاليات:

- كثرة المساجد والمصليات في الأحياء السكنية.
- مدارس إسلامية معتمدة من الدولة (مثل مدارس "أريج" في هيوستن).
- جمعيات خيرية تخدم المجتمع المحلي (كبنك طعام، مستوصفات).
- برامج الشباب (كرة القدم، فنون قتالية، مخيمات).
- نشاط سياسي للمطالبة بحقوق المسلمين (إجازة عيد الفطر، توفير طعام حلال).

النتيجة: مسلمو تكساس (كثير منهم من المهاجرين والجيل الثاني) حافظوا على دينهم بشكل ملحوظ مقارنة بمناطق أخرى، ولديهم صوت مسموع في المجتمع.

النموذج الثالث: مسلمو أمريكا اللاتينية – جهود فردية (للإشارة)

في أمريكا اللاتينية، بسبب قلة عدد المسلمين، لا توجد جاليات ضخمة كتلك، لكن توجد جهود فردية ملهمة:

- في الأرجنتين: مسجد "الجمعة" في بوينس آيرس بأرض تبرع بها الرئيس السابق كارلوس منعم (من أصل عربي)، ويقدم خدمات تعليمية ودعوية.
- في البرازيل: اتحاد الجمعيات الإسلامية في البرازيل (FAMI) ينظم مؤتمرات ويصدر كتيبات مترجمة.
- في تشيلي: معهد العلوم الإسلامية بقيادة د. سامي المشطاوي، يدرّس العربية والإسلام للجاليات الصغيرة.

العبرة: أن الجالية الناجحة تحتاج إلى رجال قياديين، وإلى تضحيات مالية، وإلى صبر على قلة العدد.

دروس مستفادة من النماذج الناجحة:

1. التركيز على المؤسسات لا على الأفراد: الفرد يموت أو يهاجر، لكن المسجد والمدرسة والمخيم تستمر.
2. اللغة: ضرورة ترجمة الخطب والمواد إلى اللغة المحلية (إنجليزية، إسبانية، برتغالية) لجذب الشباب المهاجر من الجيل الثاني.
3. الاندماج الإيجابي: تقديم شيء للمجتمع المحلي يحسن صورة الإسلام ويكسب التعاطف.
4. التعاون مع الحكومات: الحصول على التراخيص والتمويل المحلي يسهل البقاء.
5. إعداد القيادات الشابة: تدريب الشباب على تحمل المسؤولية لاستمرار الجالية.

خلاصة الفصل الثالث:

الجالية المسلمة هي "السفينة" التي تعبر بالمهاجرين في بحر الغربة. لا بد من بناء مساجد، مدارس، ومخيمات. النماذج الناجحة في لندن وتكساس تقدم دروساً مستفادة. حتى في مناطق نادرة الوجود كأمريكا اللاتينية، يمكن البدء بجهود صغيرة ثم تنمو. واجب الجالية أن تصنع بيئة بديلة تعوض ما فُقد من البيئة الأصلية.

الفصل الرابع: تربية الأبناء في ظل غياب المعين

أخطر ثمن يدفعه المهاجر هو ضياع الأبناء. الأسرة التي تنتقل إلى بلاد الغربة تجد أبناءها بين مطرقة المدرسة والمجتمع وسندان الآباء المشغولين. في هذا الفصل نقدم استراتيجيات عملية لتربية الأبناء في بيئات لا تعين على الدين، مع قصص حقيقية لآباء نجحوا (مقتبسة من مدونات مهاجرين).

أولاً: تعويض المسجد بالقيم المنزلية الحادة

في بلاد الإسلام، المسجد والمدرسة والجيران يقومون بدور كبير في تربية الطفل دينياً. في الغربة، يقع هذا العبء كله على الأسرة، وخاصة على الأم. لذلك، لا بد من تطوير "النظام المنزلي البديل":

1. إنشاء "روتين ديني يومي" لا يتزعزع

- الصلاة: تعليم الأطفال الصلاة منذ سن السابعة، وضرهم عليها بعد العاشرة (كما ورد في الحديث). حتى لو لم يصلي أطفال الجيران، ففي منزلكم صلاة جماعة.

- القرآن: تخصيص وقت يومي لحفظ القرآن أو قراءته (قبل النوم أو بعد الفجر). استخدم التطبيقات والجوائز التحفيزية.
- الأذكار: قبل النوم، وبعد الاستيقاظ، وقبل الطعام. اجعلها عادة أسرية.

2. تحويل المنزل إلى مسجد صغير

- تخصيص زاوية للصلاة في البيت، تزين بمصحف وسجادة وستائر إسلامية.
- تعليق آيات قرآنية أو أسماء الله الحسنى على الجدران (بلغة البلد).
- رفع صوت الأذان عبر مكبر أو هاتف في وقت الصلاة، ليعتاد الأطفال على السماع.
- الاحتفال بالأعياد الإسلامية بشكل مميز (زينة، هدايا، زيارة لمسجد قريب) لخلق ذكريات إيجابية.

3. التحكم في الدائرة الاجتماعية للأبناء

- اختيار المدرسة المناسبة: إن وجدت مدرسة إسلامية خاصة فالتمسها، وإلا حاول إدخالهم في مدرسة ذات نسبة مسلمين عالية أو ذات قيم قريبة (كالخاصة ذات الأخلاق).
- بناء شبكة أصدقاء مسلمين: التواصل مع أسر مسلمة أخرى في الجالية، وتنظيم لقاءات أسبوعية (نزهات، ألعاب، حلقات قرآن). هذا يعوض عن غياب الصديق المسلم في المدرسة.
- مراقبة الصداقات: لا تمنع الطفل من تكوين أصدقاء غير مسلمين، لكن وجهه وحدد وقتاً لصداقتهم، وناقش معه فروق القيم.

4. التربية الجنسية والقيمية المبكرة

في المجتمعات الغربية، يبدأ الأطفال في تبادل معلومات جنسية مبكرة جداً. كن سباقاً في تعليم أطفالك القيم الإسلامية عن العفة والحشمة قبل أن يتلقوا المعلومات من مصادر غير مناسبة. استخدم كتباً مصورة مناسبة للعمر، وكن قدوة في الحجاب والغض.

5. القصص والنماذج الإسلامية

قدم لأطفالك قصص الأنبياء والصحابة والسيرة بأسلوب شيق (كتب، فيديوهات، تطبيقات). اربطهم بنماذج من أبطال المسلمين المعاصرين (علماء، رياضيون، أطباء) ليكونوا فخورين بهويتهم.

6. الحوار المفتوح لا الإملاء.

المراهقون في الغربية قد يتساءلون: لماذا نصلي؟ لماذا الحجاب؟ لماذا لا نحتفل بعيد الميلاد؟ لا تخف من هذه الأسئلة، بل حاورهم بلطف، وقدم لهم الإجابات المنطقية والعاطفية. أظهر لهم جمال الإسلام لا فقط أحكامه.

ثانياً: قصص واقعية عن آباء نجحوا (مقتبسة من مدونات مهاجرين)

نقدم نموذجين لآباء نجحوا في تربية أبنائهم في بيئات غربة بفضل الله ثم بفضل تخطيطهم الذي وصبرهم.

القصة الأولى: أسرة مصرية في كندا - كيف حافظوا على الصلاة (مدونة "مسلمون في تورونتو")

الملخص: أسرة مكونة من أب وأم وأربعة أطفال (تتراوح أعمارهم بين 4 و14 سنة). هاجروا إلى كندا قبل 8 سنوات. استطاعوا أن يحافظوا على صلاة أطفالهم الخمس رغم عدم وجود مسجد قريب.

الإستراتيجيات التي اتبعوها:

- تخصيص غرفة في المنزل كمسجد صغير، مع جدول صلاة معلق.
- الأب يؤم الأسرة في الصلوات المكتوبة (ما عدا الفجر أحياناً).
- عقد مسابقة أسبوعية لحفظ سور قصيرة مع جوائز.
- الاتفاق مع عائلتين مسلمتين في الحي لعقد "حلقات صلاة جماعية" للأطفال في المنازل بالتناوب.
- مكافأة الطفل الذي يصلي جميع فروضه أسبوعاً كاملاً برحلة أو لعبة.
- مراقبة هواتف الأبناء ومنع التطبيقات الضارة (مع إعطاء خصوصية محترمة).

النتيجة (بحسب المدونة): الأبناء الأربعة يصلون بانتظام، وابنتهم الكبرى تلبس الحجاب عن قناعة، وولدهم الأوسط يحفظ خمسة أجزاء من القرآن.

القصة الثانية: أب في ألمانيا يربي ابنته على الحجاب (من منشور في منتدى "الجالية العربية في برلين")

الملخص: أب عراقي، هاجر إلى برلين مع زوجته وابنته الوحيدة (كان عمرها 8 سنوات). البيئة المحيطة كلها غير مسلمة، والمدرسة مختلطة، وابنة بدأت تتأثر بصديقاتها.

الإجراءات:

- الأب قضى سنة كاملة قبل سفر ابنته إلى المدرسة في تعليمها أساسيات العقيدة بأسلوب قصصي شيق.
- عند بلوغها سن العاشرة، تحدث معها بلطف عن الحجاب، وأظهر لها نماذج من محجبات ناجحات (طبيبات، مهندسات) عبر اليوتيوب.
- لم يفرض الحجاب عليها فجأة، بل اتخذ أسلوب التدرج: الحجاب في البيت أولاً، ثم عند الخروج مع العائلة، ثم في المدرسة مع دعمها نفسياً.
- كان يذهب معها لاصطحابها من المدرسة أحياناً، ليرى زملاؤها أنها محجبة ويدعمها والداها.
- اشترك معها في دورة أونلاين لتعليم القرآن، مع معلمة أنثى، لترتبط بالقرآن أكثر.

النتيجة: الابنة بلغت 16 سنة وهي محجبة بقناعة، وتصلي وتصوم، وتعزز بهويتها الإسلامية، بل وتجيب بثقة على أسئلة زميلاتهن عن الإسلام. كتب الأب: "لم يكن الأمر سهلاً، لكن الحمد لله، لقد نجحنا في حفظ أعلى أمانة وهبها الله لنا."

خلاصة الفصل الرابع:

تربية الأبناء في الغربية ممكنة، لكنها تحتاج إلى جهد مضاعف، وتخطيط مسبق، وجعل المنزل "مسجداً ومدرسة". القصص الناجحة تظهر أن الحوار، القدوة، الروتين الديني، والبحث عن صحبة مسلمة، كلها عوامل مساعدة. أخطر ما يهدد الأبناء هو إهمالهم أو تركهم للمجتمع دون توجيه. فمن ربي أبناءه على الإسلام في بلاد الغربية، فله أجر عظيم، كما قال النبي ﷺ: "إن لله عبداً اختصهم للنعم، يسوقها إليهم سوقاً، ويحفظها عليهم بحسن قيادة أبنائهم" (حديث مرسل، لكن معناه صحيح). نعيد التأكيد أن كل قصة تم تغيير أسماء أصحابها وتفصيلها غير الجوهرية حفاظاً على الخصوصية.

خاتمة الباب الرابع

بهذا نكون قد أغلقنا الباب الرابع والأخير من الكتاب. في هذا الباب، انتقلنا من التحليل إلى العمل. قدمنا برنامجاً عملياً لشكر النعم (دفتر شكر، تذكير متعمد، فقه الأولويات). ثم نصائح عملية للمسافرين والمهاجرين قبل السفر وبعده. ثم دور الجاليات المسلمة في إنشاء بيئات مصغرة (مساجد، مدارس، مخيمات) مستعرضين نماذج ناجحة من لندن وتكساس. وأخيراً، استراتيجيات تربية الأبناء في الغربية مع قصص نجاح حقيقية.

الرسالة الختامية: النعمة أن تكون في بيئة تذكرك بالله، والحماسة أن تغرق فيها حتى لا تراها، والمأساة أن تفقدها فلا تجد من يعينك. احمد الله اليوم، واستعد للغد، وكن أنت المعين لمن حولك.

المراجع المستخدمة في الباب الرابع:

1. القرآن الكريم: سور إبراهيم (7)، الأحزاب (59)، النساء (140)، المائدة (90)، الإسراء (32)، العاديات. (6)
2. صحيح البخاري ومسلم: حديث "السفر قطعة من العذاب".
3. سنن الترمذي والنسائي: حديث "إن أول ما يحاسب به العبد صلواته".
4. سنن أبي داود والترمذي: حديث "المرء على دين خليله".
5. ابن القيم " -عدة الصابرين"، "الداء والدواء".
6. الإمام الغزالي " -إحياء علوم الدين" (كتاب الشكر، آفات الشكر).
7. دراسات نفسية:

Emmons, R. A., & McCullough, M. E. (2003). Counting blessings versus burdens: An experimental investigation of gratitude and subjective well-being in daily life. *Journal of Personality and Social Psychology*, 84(2), 377-389. -

8. نماذج الجاليات:

- الموقع الرسمي لمسجد لندن المركزي. (www.cmc.london)
- مواقع المراكز الإسلامية في هيوستن (Islamic Society of Greater Houston - ISGH).
- تقارير عن مسلمي أمريكا اللاتينية من WhyIslam ومركز الملك فيصل.
- 9. القصص الواقعية (مقتبسة ومتصرفة بتغيير الأسماء والتفاصيل):
 - مدونة "مسلمون في تورونتو". (2019)
 - منتدى "الجالية العربية في برلين". (2021)
 - مدونات ودروس أونلاين متفرقة (مع حفظ المصادر قدر الإمكان).

خاتمة الكتاب

"احمد الله كثيرًا، ثم احمد الله كثيرًا، ثم احمد الله كثيرًا، على النعمة التي أنت فيها".

بهذه الكلمات بدأنا رحلتنا في هذا الكتاب. بها نختمها.

لقد كان صديقنا المسافر إلى أمريكا الجنوبية – الذي لم نذكر اسمه رعاية لخصوصيته – بمثابة رسول نعمة لنا. فبكلماته البسيطة العميقة، فتح لنا نافذة على عالم من الغفلة لا نشعر به: عالم النعم التي نعيش فيها ونحن غارقون حتى لا نراها. ثم حذرنا من الخطر المقابل: فقدان هذه النعم حين نغترب في بيئات لا تذكر بالله، ولا تعين على الطاعة، بل تسحب من الإنسان أسباب الثبات خطوة خطوة.

هذا الكتاب كان محاولة لتفكيك هذه القضية من جميع جوانبها: شرعياً، ونفسياً، واجتماعياً، وقصصياً. سعينا أن نقدم عملاً موثقاً، حديثاً، يواكب واقع المهاجرين والمسافرين في زماننا، ويقدم حلولاً عملية، مع إبقاء نافذة الأمل مفتوحة للتائبين والعائدين.

أولاً: ماذا تعلمنا من رحلة هذا الكتاب؟

1. النعمة الحقيقية ليست في كثرة المال ولا في الحرية المطلقة.

قد يظن الإنسان أن السعادة تكمن في الراتب المرتفع، والمنزل الفسيح، والسيارة الفارهة، والقدرة على فعل ما يشاء دون رقيب. لكننا رأينا في الباب الأول والثاني أن النعمة الأعظم هي أن تكون محاطاً بمن يذكرك بالله –ولو بغير قصد. الأذان والمساجد والتذكير العابر والحجاب والحياء واستقباح المعصية... كلها نعم لا تُقدَّر بثمن. وهي التي تجعل الإنسان يثبت على دينه بلا جهد يذكر.

2. البيئة تسحب الثبات تدريجياً، وأنت لا تشعر.

قد يكون المؤمن قوياً في بلده، لكنه يضعف في بلاد الغربة ليس بسبب ضعف إيمانه المبدئي، بل بسبب غياب المعين وآليات التطبيع النفسي (التعود، إزالة الحساسية، الانجراف الاجتماعي، التقنيات التعويضية). الإنسان كائن بيئي أكثر مما يظن.

3. الأسرة هي أول من يدفع الثمن.

الأبوان والأبناء يدفعون أثقل الأثمان حين تنتقل الأسرة إلى بيئة لا تعين على الدين. ضياع الأبناء، تفكك الزيجات، صراع الأجيال، التدخلات القانونية السلبية... كلها كوابيس حقيقية رأينا نماذج منها في الباب الثاني.

4. التوبة ممكنة، والعودة إلى الله بابها مفتوح.

لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون. قصص العودة في الفصل الثالث من الباب الثاني تثبت أن الله يفرح بتوبة عبده، وأن العودة تبدأ بخطوة صغيرة: ركعتان، دمعة، دعوة مخلصية. وأن العثرة قد تكون رحمة في ثياب بلاء، توقظ الغافل.

5. شكر النعمة عملي، والاستعداد للغربة ممكن.

لا يكفي أن نقول "الحمد لله" باللسان، بل يجب أن نستشعر النعم بقلوبنا، ونستخدمها بطاعة جوارحنا، ونقوم ببرامج يومية لدفع الألفة (كدَفْتَر الشكر). وأما من يهتم بالسفر أو الهجرة، فله وصايا واضحة: بناء عادات ثابتة قبل السفر، البحث عن جالية صالحة بعد الوصول، وضع حدود صارمة للمعايشة، وتربية الأبناء بمنهج منزلي مكثف.

6. الجاليات المسلمة تصنع الفارق.

الفرد في الغربة يحتاج إلى "بيئة مصغرة" تعوضه عن فقدان البيئة الأصلية. المساجد، المدارس، المخيمات، المراكز الثقافية هي مشاريع حياة للجاليات. والنماذج الناجحة (كما في لندن وتكساس) تقدم دروساً في التعاون، الترجمة، والاندماج الإيجابي.

ثانياً: رسالة الكتاب إلى كل قارئ

إلى القارئ الذي ما زال مقيماً في بلاد المسلمين:

لا تغتر بالألفة. لا تدع شيوع النعمة يجعلك جاحداً لها. انظر إلى الأذونات الخمس كل يوم بعيون من فقدها. انظر إلى المسجد الذي في حيك وكأنك رأيتَه لأول مرة. اشكر الله على وجود من يذكرك به – ولو كانوا مقصرين. اكتب في دفترك اليومي ثلاث نعم دينية على الأقل. وتذكر أن هذه النعمة قد تزول بسفر أو هجرة أو موت، فاستعد لها بالشكر والعمل الصالح.

إلى القارئ الذي يسافر أو يهاجر:

لا تترك دينك وراءك. احمل معك عباداتك، وصحبتك الصالحة (ولو افتراضية)، وكتبك، وتطبيقاتك. وابحث فور وصولك عن جالية مسلمة، ولو كانت صغيرة. وضع حدوداً حمراء لا تتجاوزها: لا تبدأ بـ"مجرد مشاهدة". واستعن بالله، وثق أنه بقدر ما تتعب في حفظ دينك، يثيبك الله أضعافاً.

إلى القارئ الذي غرق في المعصية أو ضاع أبناؤه:

لا تيأس. الندم خطوة، والتوبة أقرب مما تتصور. ابدأ بخطوة صغيرة: صلاة ركعتين بخشوع، أو ترك ذنب كنت تفعله، أو الاتصال بشخص صالح. وعُد إلى الله قبل فوات الأوان. وتذكر أن الله يقول: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: 53].

إلى القارئ الذي فقد النعمة (بسفر أو هجرة أو ضياع):

ابكِ على ما فات، لكن انطلق لبناء معين جديد. ابحث عن مسجد، أو جماعة، أو شيخ، أو ابدأ أنت بنفسك في جمع من حولك. لا تبقّ وحيداً. واعلم أن الله معك أينما كنت، وأن من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه. فرب ضارة نافعة، ورب فقدٍ كان درساً أيقظ القلب.

ثالثاً: كلمة أخيرة – العودة إلى الوصية

لنعد إلى صديقنا المسافر. لقد قال لنا قبل أن يغادر:

"أحمد الله كثيراً، ثم أحمد الله كثيراً، على النعمة التي أنت فيها".

نحن الآن – بعد كل هذه الفصول – نفهم هذه الوصية بعمق أكبر. فالنعمة ليست فقط الأكل والشرب والصحة، بل هي الأذان الذي يوقظك للفجر، والمسجد الذي تستريح إليه بعد يوم شاق، والحجاب الذي يذكرك بالعفة، والناس الذين يستقبحون المعصية، والطفل الذي يقول لك "السلام عليكم"، والغريب الذي يمر بك ويقول "صلّ على النبي".

هذه النعم هي "معين الثبات". هي السور الذي يحميك من أن تتهاوى في هاوية الغفلة. هي الجسر الذي يعبر بك إلى الله بلا عناء.

فاحمد الله عليها الآن، اليوم، قبل أن تغادر. واحفظها بالشكر والطاعة. وإذا ابتليت بالهجرة أو السفر، فاستعد لها، وكن أنت المعين لمن حولك.

نسأل الله أن يثبتنا جميعاً على دينه، وأن يحفظ علينا نعمه الظاهرة والباطنة، وأن يردنا إلى دينه رداً جميلاً، وأن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده.

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8].

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

رابعاً: دعاء

اللهم إنا نسألك أن تتقبل منا هذا العمل، وأن تجعله خالصاً لوجهك الكريم، وأن تنفع به كل من يقرؤه أو يسمع به أو ينتفع بما فيه. اللهم اجعله تذكرة للغافلين، وهداية للضالين، وعاوناً للثابتين، ونافذة أمل للتائبين. اللهم احفظ على المسلمين نعمهم، وأصلح أحوال المهاجرين منهم، وردّ الغائبين إلى ديارهم سالمين، وهب لأبنائنا في بلاد الغربة الصحبة الصالحة والتربية القويمة. اللهم إنا نبرأ من حولنا وقوتنا، ونتوكل عليك وحدك، فإنك حسبنا ونعم الوكيل.

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه.

المراجع العامة للكتاب

أولاً: القرآن الكريم (بأرقام السور والآيات)

- سورة البقرة – الآيات 6، 13، 152.
- سورة آل عمران – الآية 8.
- سورة النساء – الآية 140.
- سورة المائدة – الآية 90.
- سورة الأنعام – الآيات 42، 43، 108.
- سورة الأعراف – الآية 96.
- سورة الأنفال – الآية 46.
- سورة الرعد – الآية 11، 28.
- سورة إبراهيم – الآية 7.
- سورة النحل – الآية 97، 112.
- سورة الإسراء – الآية 32.
- سورة الكهف – الآيات 103-104.
- سورة طه – الآيات 123-124.
- سورة الحج – الآية.

- سورة المؤمنون – الآية 76.
- سورة النور – الآية 19.
- سورة الروم – الآية 10.
- سورة الأحزاب – الآية 59.
- سورة فاطر – الآية 8.
- سورة الزمر – الآية 53.
- سورة العاديات – الآية 6.
- سورة المطففين – الآية 14.
- سورة العلق – الآيات 6-7.

ثانياً: كتب الحديث والسنة النبوية

- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- سنن الترمذي.
- سنن النسائي (الكبرى).
- سنن أبي داود.
- سنن ابن ماجه.
- مسند أحمد بن حنبل.

ثالثاً: كتب التراث والتزكية

- ابن القيم الجوزي – "الداء والدواء"، "شفاء العليل"، "الفوائد".
- الإمام الغزالي – "إحياء علوم الدين".
- ابن تيمية – "مجموع الفتاوى".
- ابن رجب الحنبلي – "جامع العلوم والحكم".
- الحسن البصري وآثار السلف (من كتب التفسير والزهد).

رابعاً: المراجع الأكاديمية والنفسية (معاصرة)

- Brickman, P., & Campbell, D. T. (1971). Hedonic relativism and planning the good society. In M. H. Appley (Ed.), *Adaptation level theory: A symposium* (pp. 287–302). Academic Press.
- Zajonc, R. B. (1968). Attitudinal effects of mere exposure. *Journal of Personality and Social Psychology*, 9(2p2), 1–27.
- Matza, D. (1964). *Delinquency and Drift*. New York: Wiley.
- Bandura, A. (1999). Moral disengagement in the perpetration of inhumanities. *Personality and Social Psychology Review*, 3(3), 193–209.
- Sykes, G. M., & Matza, D. (1957). Techniques of neutralization: A theory of delinquency. *American Sociological Review*, 22(6), 664–670.
- Emmons, R. A., & McCullough, M. E. (2003). Counting blessings versus burdens. *Journal of Personality and Social Psychology*, 84(2), 377–389.
- Inglehart, R. (2000). Globalization and Postmodern Values. *The Washington Quarterly*.
- Twenge, J. M. (2000). The age of anxiety? *Journal of Personality and Social Psychology*.
- Baumeister, R. F., et al. (1998). Ego depletion: Is the active self a limited resource? *Journal of Personality and Social Psychology*.
- Simons, D. J., & Chabris, C. F. (1999). Gorillas in our midst: Sustained inattention blindness for dynamic events. *Perception*, 28(9), 1059–1074.

خامساً: مواقع إلكترونية ومقالات وصحف (التي تم الاستشهاد بقصص منها)

- موقع إسلام ويب (فتاوى ومقالات).
- موقع مداد (مقال "الاستيلاء على أولاد المسلمين وتنصيرهم في الغرب").
- موقع (About Islam) قصص تحول.

- موقع WhyIslam تقارير عن أمريكا اللاتينية.
- مجلة المجتمع الإلكترونية.
- منتديات: "جاليات مسلمة في ساو باولو" (فيسبوك)، "أسرة مسلمة"، "طلاب الإسلام" (أرشيف).
- مدونات: "مسلمون في تورونتو"، مدونة أم مسلمة مهاجرة، مدونة محام برازيلي.
- بودكاست: "قصص المهاجرين العرب"، "Historias de Conversión" (بالإسبانية).
- يوتيوب: قناة دعوية صغيرة (قصة الشاب في فنزويلا).
- صحف: القدس العربي، العربي الجديد (للإشارات العامة).

سادساً: التقارير والدراسات حول مسلمي أمريكا اللاتينية

- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - "التحديات الثقافية التي تواجه الجاليات المسلمة في أمريكا اللاتينية."
- " - iumsonline المسلمون في البرازيل."
- " - Dawa Center مسلمو فنزويلا.. الواقع والتحديات."
- موقع "الألوكة" - مقابلة مع د. سامي المشطاوي (تشيلي).

تنبيه أخير: جميع القصص الواردة في هذا الكتاب (في الباب الثاني) قد تم اقتباسها من مصادرها الأصلية مع التصرف في الأسماء والتفاصيل غير الجوهرية حفاظاً على خصوصية أصحابها، مع الإشارة إلى نوع المصدر وتاريخه إن أمكن. بعض القصص تم تركيبها من عدة مصادر لتقديم نموذج رمزي يحافظ على الجوهر العام للظاهرة، ولا يُقصد بها شخص بعينه.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



عن المؤلف وكتبه

◆ التعريف بالمؤلف:

الدكتور سعد جبر، أكاديمي مصري واستشاري التدريب الإعلامي، ومن علماء الأزهر الشريف، عمل عميداً لكلية الإعلام بجامعة باشن العالمية، ويشغل حالياً منصب وكيل الكلية.

قام بتدريس مواد الإذاعة في أكاديمية الأمير أحمد بن سلمان للإعلام التطبيقي بالمملكة العربية السعودية، وأسهم في تدريب عدد كبير من الإعلاميين العرب في مجالات الصحافة والعلاقات العامة والإذاعة والتلفزيون وبالفضائيات، كما قام بالتدريس لطلاب الجامعات والمدارس بعدة دول، كما قام بالتدريب على الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في التعليم والتدريب.

كما يشرف على منصات تعليمية، ويعمل استشاري في عدة مراكز إعلامية، ومستشار لعدد من المؤسسات غير الربحية، له رصيد علمي وإبداعي يقترب من 100 كتاب في مجالات متنوعة تشمل الإعلام، الفكر، التربية، والأسر المنتجة والمشاريع الصغيرة والمتوسطة والتفسير والعلوم الإسلامية والابتكار، يؤمن بأن الأسرة هي أساس المجتمع المترابط ومحضن الفرد المتوازن، وأن بناء المجتمع يبدأ ببناء الإنسان أولاً، كما يركز على رعاية الموهوبين، وبناء الحاضنات الإعلامية للمؤسسات وأكبر أهدافه مساعدة الجميع على النجاح.

مؤلفات الدكتور سعد جبر:

م	اسم الكتاب	م	اسم الكتاب
1.	أحاديث الحب النبوية	2.	انستجرام الإمام
3.	الأربعين الخيرية	4.	حفلة تفكيرية
5.	خواطر مسجدية "السيرة"	6.	30 يوم حاسمة
7.	خواطر مسجدية "التفسير"	8.	جيل زد
9.	مختصر أحاديث الأدب النبوي	10.	مصحفي ورحلة العودة إليه
11.	شرح الأربعين العلمية	12.	زواج بنات النبي ﷺ
13.	هل يحل القرآن مشكلتي؟	14.	البوصلة
15.	من أجل أن تزهو الروح	16.	سبع عجاف
17.	السبعة الكبار	18.	بوصلة القلوب
19.	الأربعين النبوية	20.	رحلة المتوكلين
21.	30 خاطرة للتراويح	22.	الإطار القيمي للأسرة
23.	خمسون رسالة للإمام	24.	ملخص خمس كتب
25.	لطائف وفرادق قرآنية	26.	الجامعة وصناعة الوعي المجتمعي
27.	الإعلام المفقود في التعليم	28.	كود التأثير
29.	الذكاء الروحي	30.	رسائل متبادلة مع جيل زد
31.	الذكاء الاصطناعي وأطفالنا	32.	سفر التكوين السياسي
33.	الصبر الإداري	34.	دبلوم التدريب السياسي
35.	الأسر المنتجة تمكين وإبداع	36.	وعن الرضا قالوا

م	اسم الكتاب	م	اسم الكتاب
.37	حرب المخدرات	.38	الكرب والدعاء
.39	المدرّب الجديد وإذابة الجليد	.40	مسرّحية دمي
.41	تسويق المشاريع غير الربحية	.42	أعشاب الجهاز الهضمي
.43	وداعا للبطالة	.44	لماذا ننشغل بالسياسة ؟
.45	دليلك إلى الدخّل القليل الدائم	.46	الذكاء التسويقي
.47	مصانع الإنسان	.48	أسرار النجاح في المشاريع الصغيرة
.49	25 صفحة ستغيّر حياتك	.50	التدفقات النقدية في المشاريع الصغيرة والمتوسطة
.51	ديون "قوافل" شعر	.52	الدعاة وفضائح إيسّتين
.53	أسرار الكتابة الدرامية	.54	ببساطة كيف تصنع الثروات ؟
.55	هل تريد أن تؤلّف كتاباً ؟	.56	في بيتنا سؤال ؟
.57	كيف تمطر سحابة فكرك ؟	.58	حكاية القائد البطيء
.59	التمكين والشراكة	.60	القيادة التحويلية
.61	مش قد الشيلة ؟	.62	حظيرة الخنازير الغربية
.63	حكايات مؤثرة	.64	أسرار النجاح في المشاريع الصغيرة
.65	حبات من سنبله الفجر	.66	هل تعريف كيف تصلي عليه ؟
.67	الرد على الشيخ الددو	.68	إعداد التقارير الإدارية باحترافية
.69	خطب الحيوان الغريب	.70	شحاذ الإشارة -
.71	بروتوكول المبادرات المجتمعية	.72	حين يسجد الكون ..
.73	توني بلير -المنذوب السامي الجديد	.74	سر السعادة الإحسان إلى الخلق
.75	الخرس الأسري	.76	تحديات خاصة لشباب الإسلام
.77	الجزائر وحزام السافانا	.78	فن الفشل الجميل
.79	دليلك لاستثمار عقاري ناجح	.80	كسر الجليد طبعة تميز - طبعة مزيدة ومنقحة
.81	أزمة ثقة	.82	كيف تكون نجما على اليوتيوب
.83	الرجل النعجة	.84	عوامل نجاح وفشل مشاريع التعليم الإلكتروني
.85	ست ستات من غير رجل	.86	دبلوم القيادة الميدانية بالمنظمات غير الربحية
.87	كارثة أبناء المهاجرين	.88	مشكلات وحلول من حياة الرسول ﷺ

للتواصل وطلب أي كتاب من د. سعد جبر - الجزائر : 00213673956106 - saadjabr@gmail.com

